الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
أكاديمية التغيير
Academy of Change

سلسلة حرب اللاعنف التكتيكات

حلقات العصيان المدني

مكتبة
مؤمن قريش

تأليف:

أ. أحمد عبد الحكيم
د. هشام مرسي
م. وائل عادل

حلقات العصيان المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة حرب اللاعنف

(التكتيكات)

حلقات

العصيان المدني

تأليف

أ. أحمد عبد الحكيم د. هشام مرسي م. وائل عادل

أكاديمية التغيير
Academy of Change
AOC

الدار العربية للعلوم ـ ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

مكتبة
مؤمن قريش

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها دون إذن خطي من الناشر

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ردمك 978-9953-87-148-6

All rights reserved. It may be reproduced
with permission of the Academy of Change

The authors have asserted their right under the
Copyright, Design and Patents Act 1988,
to be identified as the Authors of this work.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

British Library Cataloguing in Publication Data.
A Catalogue record for this title is available from
the British Library.

جميع الحقوق محفوظة للناشرين

أكاديمية التغيير
Academy of Change
AOC

للتواصل مع أكاديمية التغيير (AOC)
بريد إلكتروني: info@taghier.org
www.taghier.org

الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل

المحتويات

مقدمة 7

تمهيد: متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟؟ 9

الحلقة الأولى: العصيان المدني مقاومة أم احتجاج 13

المقاومة والاحتجاج 13

جذور العصيان المدني 14

تعريف العصيان المدني 15

الجمهور هو المستهدف 16

وسائل العصيان لا تعرف السرية 18

الحلقة الثانية: الحوار لغة العصيان 21

الحوار لغة العصيان 21

العصيان المدني والعمل المباشر 22

أخلاقيات حركة العصيان المدني 23

الحلقة الثالثة: العصيان المدني ومجموعات العمل 27

ثقافة العمل في فريق 27

جذور مجموعات العمل 28

طبيعة مجموعات العمل 29

مميزات مجموعات العمل 29

سلبيات مجموعات العمل 32

الحلقة الرابعة: مجموعات العمل والتحضير للنشاط 35

لمن "مجموعات العمل"؟ 35

ما التحضيرات اللازمة؟ 36

أين يتم التحضير؟ 41
متى يتم التحضير؟ 41
الحلقة الخامسة: الأنشطة والحوار 43
المجموعات الثلاث 43
النشاط الموجه بين التهيب والسلبية 44
النظام والمجتمع 45
النشاط الموجه.. لمن؟ 46
نماذج للأنشطة 48
الحلقة السادسة: حملات المقاومة 51
أولاً: تعريف الحملات 51
ثانياً: أنواع الحملات 51
ثالثاً: أهداف الحملات 52
رابعاً: عوامل نجاح الحملات 53
الحلقة السابعة: حملة مواجهة القمع 59
أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع 59
ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري 60
ثالثاً: من أهداف الحملة 61
رابعاً: استراتيجية جديدة 62
خامساً: متطلبات الاستراتيجية 63
سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية 65
سابعاً: القواعد الذهبية لتعزيز مساحة الحرية وإطلاق الإبداع في حركة المقاومة 69
الخلاصات 73
الخاتمة 77
ثبت المراجع 79

مقدمة

تشهد كثير من المجتمعات حالة من الحراك على مستويات عدة، تتجلى بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتتبلور في إحساس المجتمعات بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وقد انتفضت طلائع من المجتمعات - تمثل ضمير شعبها - في عدة بلدان، وبدأت تبحث عن دورها الذي وجدت من أجله. وترسم حلمها التغييري المنشود، عازمة على أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

ومن هنا تأتي إسهامات أكاديمية التغيير الفكرية، لتنمية العقل التغييري، وتعزيز الفكر الاستراتيجي، ونشر الوعي بطبيعة الصراع، ونشر ثقافة التغيير على أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية على مر العصور، لاستكمال وصقل طرق الكفاح والتطوير التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب حلقات العصيان المدني

ويأتي كتاب "حلقات العصيان المدني" - في سلسلة "حرب اللاعنف" - كدليل تعريفي مختصر بموضوع العصيان المدني، وهو جمع لسلسلة مقالات نشرتها أكاديمية التغيير على موقعها الإلكتروني باسم "حلقات العصيان المدني". وقد لاقت هذه المقالات قبولاً وانتشاراً واسعاً في الأوساط المهتمة بهذا الموضوع.

قسم الدراسات والأبحاث
أكاديمية التغيير

تمهيد

متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟

يـــرى البعض أن العصيان المدني يعني عصيان مؤسسات المجتمع المدني، أو عصيان المواطنين غير العسكريين، لكننا ننظر للعصيان هنا كعنصر رئيسي في فلسفة وأدوات حرب اللاعنف، ويشمل العصيان الـــسياسي والاجتماعي... الخ، ونعني هنا بكلمة "مدني Civil" أنه متحـــضر، أي أنـــه نـــشاط يهدف إلى الحفاظ على القيم السامية، وترســـيخ العـــدل والحرية، وإقامة المجتمع حامل الرسالة[1]. ويمارس نشطاء حركات العصيان المدني أساليب حضارية، لإنتاج هذا المجتمع المتحضر. (سيتم شرح تعريف العصيان المدني لاحقاً).

وثمـــة ســـؤال يتطرق إلى الأذهان: متى يصبح العصيان المدني ضرورياً؟؟

طُـــرح هـــذا السؤال على كثير من المجتمعات، في أي مرحلة يـــصبح العـــصيان المدني ضرورياً؟ ونرى أن العصيان المدني يصبح ضرورياً حين تتعارض القوانين وممارسات الجهات التنفيذية مع القيم الأخلاقـــية للمجـــتمع، فالحفـــاظ على هذه القيم النابعة من ثقافة

(1) أحمد عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م. وائل عادل، حرب اللاعنف... الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.

المجتمعات ومعتقداته الدينية والدفاع عنها هو ضمان لحفظ آدمية المجتمع، وكفيل باستمرار تقدمه وتطوره، فالمجتمع هو الشريك الأكبر في تكوين الحكومات، وهو المتحكم في تصرفاتها، فهو داعم لتصرفاتها الصحيحة بإيجابيته، أو داعم لتصرفاتها الفاسدة بسلبيته.

أما القيم الأخلاقية للمجتمع فلا دعم لها إلا بالإيجابية، فإذا تعارضت ممارسات الحكومة مع هذه القيم فإن العصيان المدني يمثل أعلى درجات هذه الإيجابية تجاه قيم المجتمع وأخلاقياته، ومن هنا جاء إهداء هذا الكتاب من أكاديمية التغيير إلى المكتبة العربية وروادها للإسهام في تطوير المجتمع العربي وضمان تقدمه.

ويعتبر هنري ثوروا (1817- 1862) الأب المؤسس لنظرية العصيان المدني، عبر ما دونه خلال تجواله المشهور عبر متنزه والدن بكونكورد ماساشوسيتس، وتطبيقه لنظريته في العصيان المدني بامتناعه عن دفع الضرائب احتجاجاً على قانون العبودية والحرب على المكسيك عام 1846، ثم أخذت الفكرة في النضوج أثناء طيرانها حول العالم، فتلقفها غاندي في جنوب أفريقيا والهند، لتعود بعد قرن من الزمان من نشأتها إلى مارتن لوثر كينج (1929 - 1968) لتساهم في تحرير السود بأمريكا، محققة أحد الأهداف التي أسسها ثوروا من أجله.

ويختلف ثوروا بنظريته هذه عن المدرسة الأوربية بزعامة هيجل الألماني الذي يرى قدسية الحكومة والقانون، ويختلف كذلك عن المدرسة الإنجليزية بقيادة جون لوك، وجون ستيوارت ميل، والتي تحترم حرية الفرد ولكن تحت سلطة الدولة. أما ثوروا فلا يرى للدولة الفاسدة سلطة تُحترم، وأن المجتمع لابد أن يضغط على حكومته

باستمرار كي تلتزم الصلاح وخدمة المجتمع، وقد أطلق صيحته المشهورة "إذا كانت مشيئة القانون أن تظلم الآخرين، فأنا أدعوك أن تخرق هذا القانون الفاسد، لتجعل من وجودك عقبة صعبة في طريق الدولة لمنع وإيقاف تسلط الحكومة"[1]، وهذه هي الفكرة التي طورها غاندي خلال تجربته في جنوب أفريقيا على مدار 22 عاماً (1893 - 1915) قضاها هناك وأصبح زعيماً يقود نضال الهنود[2]، وخلال نضاله لتحرير الهند من استعمار الإمبراطورية البريطانية. وكان لهذه الفكرة أعمق الأثر في تطوير المجتمع البريطاني، حتى قال المؤرخ أرنولد توينبي عنه "إن الأهمية التاريخية لغاندي لا تكمن فيما قدمه للهند فحسب؛ بل فيما قدمه للإمبراطورية البريطانية حيث أقنع المجتمع البريطاني بأن العنف تأخُّر وتخلُّف، وأن اللاعنف تقدُّم وتحضُّر"،[3] وقد استعملت نظرية ثوروا وتطبيقات غاندي على مدار القرن العشرين، ونجحت حوالى 82% من حركات المقاومة التي تبنت المسار اللاعنيف في تحقيق أهدافها، ما بين نجاح كلي أو جزئي. ويمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب الأكاديمية حول حرب اللاعنف للاطلاع على بعض هذه التجارب.[4]

---

(1) The teaching company, Power over people by Dennis G. Dalton, lecture 12

(2) عمل غاندي في "ناتال" في جنوب أفريقيا، وكانت جنوب أفريقيا مستعمرة بريطانية، وأرقه وضع الجالية الهندية، فقرر النضال من أجل الدفاع عن حقوق العمال الهنود بها، والذين كانوا يعملون في الشركات البريطانية.

(3) The teaching company, Power over people by Dennis G. Dalton.

(4) أحمد عبد الحكيم، د. هشام مرسي، م. وائل عادل، حرب اللاعنف... الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.

الحلقة الأولى

العصيان المدني
مقاومة أم احتجاج

إن المقاومة تعني العصيان أو الرفض

نتناول في هذه الحلقة:

- **الفرق بين المقاومة والاحتجاج**
- **جذور العصيان المدني**
- **تعريف العصيان المدني**
- **من المستهدف المواطنون أم الحكومة؟**
- **وسائل العصيان لا تعرف السرية**

المقاومة والاحتجاج

يحكي بير هيربجرين حكاية له مع أخيه الصغير وهو طفل: "من الـــدروس الأولى التي تعلمتها في العصيان المدني كان عند ولادة أخي الـــصغير... ولقـــد كنت مفتوناً بإصراره البريء على تنفيذ ما يشاء وبالطـــريقة الـــتي يشاء، وعندما لا يرغب في عمل شئ فإنه ببساطة يرفض ولا يساوم على هذا الرفض وهو ما كان مغايراً تماماً لما كنت عليه حيث أنني كنت ابناً مطيعاً جداً.

ولا أقصد بهذا أنني لم أكن أحتج (protest) فلقد كنت أصيح بشكل عنيف وأصرخ وأجادل، ولكن عندما ينتهي هذا الاحتجاج والصراخ فإنني أنصاع في نهاية الأمر. كان هذا هو التباين بيني وبين أخي والذي ساعدني كثيراً في أن أفهم بوضوح الاختلاف بين مفهوم المقاومة (resistance) ومفهوم الاحتجاج (protest)."

وتتسم كلمة المقاومة اليوم بالنمطية وذلك لأن كل أشكال الاحتجاج - وللأسف - أصبحت فجأة تسمى مقاومة.

إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة.

إن المقاومة في جوهرها هي العصيان. وقد يكون الاحتجاج أكثر قبولاً في بعض الحالات إلا أن تأثيره ليس كتأثير المقاومة (رغم أن الاحتجاج بالنسبة لنظام دكتاتوري يُعد شكلاً من أشكال المقاومة لأنه عمل غير مشروع في نظر الديكتاتورية شأنه شأن المقاومة).

جذور العصيان المدني

كان أول من استعمل مصطلح العصيان المدني وأشار إلى فكرته هو الكاتب الأمريكي هنري دايفيد ثوراو في مقاله الشهير "العصيان المدني" المنشور في سنة 1849. وقد كتب مقاله الشهير هذا عقب امتناعه عن دفع ضرائب الحرب احتجاجاً على العبودية والقمع والاضطهاد والحرب التي كانت تخوضها الولايات المتحدة ضد المكسيك. ولم يكن الامتناع عن دفع الضرائب بالفكرة الجديدة وإنما استعملها مناهضو الاسترقاق وآخرون غيرهم.

وكـــذلك لجأ كارل ماركس إلى هذه الفكرة حين حاول أن ينظم حملـــة لإقـــناع الأوربـــيين بعدم دفع الضرائب خلال الثورة التي اجتاحت أوروبا عام 1848م.

تعريف العصيان المدني

يعـــرف بير هيرنجرين العصيان المدني في كتابه "طريق المقاومة.. ممارسة العصيان المدني" بأنه:

- نشاط شعبي متحضر[1].
- يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف.
- أنـــشطة العـــصيان المدني هي عبارة عن تحدٍ لأمر ما أو لقرار ما حتى ولو كانت غير مقيدة بالقانون.
- هدف النشاط المباشر هو أن يحافظ على أو يغير ظاهرة معينة في المجتمع.
- النتائج أو التبعات الشخصية جزء مهم من النشاط ولا ينظر إليها على أنها نتيجة سلبية.

ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني تقوم أنشطته على التحدي، فلا تقيده قوانين النظام، أو قراراته، وإن كان أحياناً يتم عبر القوانين.

---

(1) كلمـــة "مـــدني" صفة تتصل بالمواطن، ولهذا فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن العصيان المدني يعني عصيان المدنيين.. أي المواطنين غير العسكريين، ولكن في حـــركة اللاعـــنف فإن كلمة "مدني" تعني عكس ما تعنيه كلمة عنف، وهذا معـــناه أن المشاركين في أي نشاط للعصيان المدني من كل قطاعات المجتمع - ســـواء كانـــوا عـــسكريين (يعصون الأوامر أو يغضون الطرف عن أنشطة المقـــاومين) أو غـــير عسكريين - يتصرفون بشكل مدني أي متحضر وبدون عنف. ولذلك يمكن أن نطلق عليه "العصيان الحضاري".

ومن ثم لا يستطيع النظام أن يفرض على حركة العصيان نشاطاً بعينه أو يمنعها من نشاط، أو يفرض عليها ميداناً بعينه.

الجمهور هو المستهدف

إن المقاومة يجب أن توجه خطابها إلى المواطنين المذعنين. ويعتقد "ثوراو" أن المواطنين هم الذين يشكلون ويصنعون الجزء الأهم في جماعة العصيان المدني. كما يري أن أكبر الداعمين للأنظمة الجائرة والذين يمثلون أخطر وأكبر المعوقات أمام حركة المقاومة هم أولئك الذين يعترضون ثم يذعنون ويقدمون للنظم الولاء والدعم في النهاية.

وينبغي ألا تنشغل حركة العصيان المدني بتوجيه خطابها إلى الحاكم أو النظام، وتغفل عن اختيار خطاب مناسب للجماهير، يدعوهم للمشاركة في العصيان، ويحرضهم عليه، ويربط مستقبلهم بنجاحه. طالما أنها قررت المقاومة... وليس الاحتجاج.

لقد أوضح المهاتما غاندي - الذي قاد النضال ضد الاستعمار

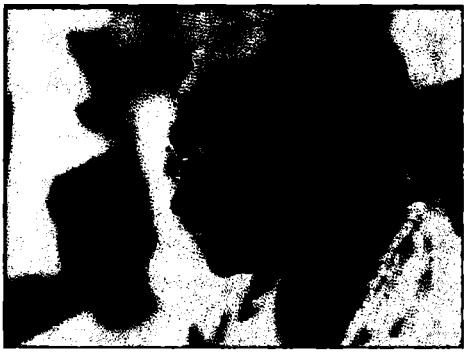

البريطاني في الهند - بشكل لا يقبل الشك أن العصيان يقوض من سلطة الدولة إلى حد بعيد، إذ يقول **"لو أن الرجل يشعر أنه ليس من الرجولة أن يطيع القوانين الجائرة فلن يستطيع أي طاغية أن يستعبده".**

وتكمن المشكلة الحقيقية في إذعان أكثر المواطنين وكونهم ضمن شـــريحة المجتمع المطيعة، وحين يستطيع ناشطو العصيان المدني تحفيز الآخـــرين علي تحدي القوانين والتعليمات الجائرة عن طريق استثمار النـــتائج والعـــواقب المترتبة على الممارسة الحقيقية لأنشطة العصيان المـــدني، فإنهم ينجحون في مساعدة الجمهور كي يتغلب على حاجز الخوف من العقوبات الشخصية.

إن العـــصيان المـــدني ينبغـــي أن ينظـــر له كوحدة متكاملة، حـــيث تكـــون العقـــوبة بـــنفس أهمية الأنشطة. إن العقوبات أو بالأحـــرى التغلب على الخوف من العقوبة أساس في مبدأ العصيان المدني.

والعـــصيان المدني لا يهدف فحسب إلى التأثير في الرأي العام؛ ولكـــنه يتجاوز ذلك ليصبح طريقة لتحفيز المواطنين على العصيان. والفعل أو النشاط وحده لا يكفي لتحقيق هذا الهدف. ولكن امتزاج عنـــصر الأنـــشطة بعنـــصر العقوبات يحدث الحافز القوي للعصيان والتغلب على الخوف من العقوبات.

لذلك يتم اكتساب الجماهير من خلال تقديم النموذج، الذي يـــرفض الانـــصياع للأوامـــر، وكلمـــا صمد هذا النموذج أمام العقـــوبات كلما ازداد عدد المنضمين للعصيان. وعادة ما يكون دور حـــركات العصيان هو إشعال فتيل المقاومة وتقديم النموذج ليتبعها الأحرار.

ويقول جون راؤول في كتابه "نظرية العدالة":

"لـــيس مـــن الصعب أن تبرر حالة العصيان المدني في نظام غير عادل لا يتبع رأي الأغلبية، ولكن حينما يكون النظام عادلاً إلى حد

مـــا تـــبرز مشكلة ألا وهي أن من يقوم بالعصيان المدني يصبح من الأقلية وتغدو عملية العصيان المدني وكأنها موجهة ضد رأي الأغلبية في المجتمع".

لذلك تستفيد حركات العصيان من الظلم والتسلط، وتوظفهما في عمليـــة التحريض، وكلما ازداد الظلم كلما كان ذلك في صالح حـــركات العـــصيان، وكلما زادت الجرائم المعلنة للنظام كلما كان ذلـــك سبيلاً إلى اجتذاب الجماهير. لذلك تستفيد حركات العصيان مـــن أخطاء النظام، وتوظفها بشكل دقيق لجذب المزيد من الأحرار، ولتسقط شرعيته وهيبته.

وسائل العصيان لا تعرف السرية

تـــبعاً لقواعد العصيان المدني فإن المشاركين لا يتعمدون إخفاء وســـائل أنشطتهم عن السلطة، وبهذا فإنهم لا يتعمدون تجنب النتائج أو التـــبعات السلبية لهذه الأنشطة. ولذا فإن كتابة شعار سياسي أو رســـالة ما على حائط أو جدار ما تحت جنح الظلام يعتبر نوعاً من أنواع الاحتجاج، وليس المقاومة (إلا في ظروف معينة) رغم أن ذلك قد يعطي نتائج سياسية مرضية.

ولـــذلك ينبغي لحركات العصيان أن تعي هذه النقطة جيداً. أن المواطـــنين هم المستهدف الرئيس للعصيان، أن يرى الناس أفراداً من الـــشعب يمارسون العصيان جهاراً.. ويتحملون عواقبه.. والأعمال الـــتي تـــتم في جنح الظلام لا تشجع الآخرين على أن يقوموا بنفس العمل. لذلك قد لا تعد عصياناً.. فالعصيان هو رفض للنظام وكسر لقانون أو وضع ما جائر دون تخفي.

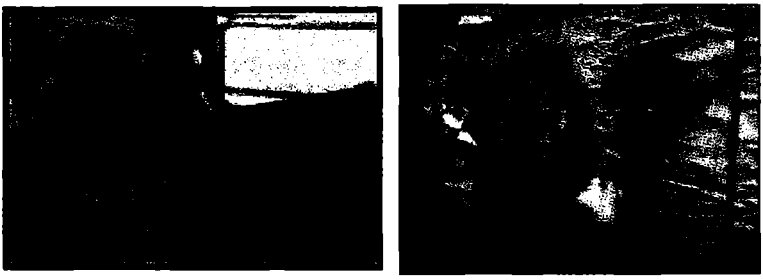

شباب من حركة المقاومة الصربية "أتبور" التي كان لها دور كبير في الإطاحة بميلوسوفيتش عام 2000م

وتكـــون مهارة الحركة في أن يستثمر جهازها الإعلامي هذه الأنـــشطة، وكلما زاد القمع وبدأ التحرش بالمشاركين، كلما كان ذلـــك مؤشراً على نجاح العصيان. وحينها يستفيد الجهاز الإعلامي المقـــاوم من كل تحرش، أو صدام، أو كلمة نابية، أو فلتة لسان، أو عمل لا أخلاقي، أو مقتل لأحد المقاومين ليمتلك ورقة رابحة ودليلاً دامغاً على أن الشعب قرر العصيان. وإذا فوت الجهاز الإعلامي هذه الأحداث يكون قد فرط في أداة قوية من أدوات نجاح العصيان. إن قـــوة النـــشاط في فقه العصيان قد تكمن في العقوبة التي ستوجه إلى المقاومين، والتي سيستثمرها إعلام المقاومة.

الحلقة الثانية

الحوار لغة العصيان

إن العصيان هو حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاكمات... كما أنه حوار مع المواطنين

نتناول في هذه الحلقة:

- **الحوار لغة العصيان**
- **العصيان المدني والعمل المباشر**
- **أخلاقيات حركة العصيان المدني**

الحوار لغة العصيان

أحسن ما يوصف به العصيان المدني أنه عبارة عن حوار. حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاكمات، كما أنه حوار مع المواطنين من خلال تحفيزهم للمشاركة في أنشطة المقاومة. وعادة ما تبدأ المقاومة بشكل تدريجي، فتبدأ حملة المقاومة مثلاً بالمفاوضات ثم تُصَعَّدْ تدريجياً (أو تبتكر أساليب أخرى) إذا لم تنجح المفاوضة في لفت انتباه الخصم وإقناعه بضرورة الحوار. وقد شبه غاندي هذه العملية بارتقاء درجات السلم، ففي مسيرة الملح الشهيرة عندما كسر الهنود قانون الاستعمار البريطاني وبدأوا يستخلصون الملح من البحر سأل أحد الصحفيين غاندي ماذا سيفعل لو لم تستجب السلطات

لذلك.. فأجاب: "عندئذ سأُصعِّدْ الحملة". وذلك حتى يستمر الحوار بين المقاومة والنظام.

ومن الضروري أن يستمر هذا الحوار وألا يتوقف وألا يتم تجاهله، وأن يستهدف جر المجتمع كله من مسؤولين ومواطنين إلى حوار مكثف، ذلك أن استمرار الحوار يعني استمرار الحركة في تحقيق أهدافها وازدياد قوتها، وفي توقف الحوار تعزيز لموقف النظام وازدياد قوته. وعلى الحركة ونشطائها أن يعوا أن عدم التهيب من السلطة يجب ألا يؤدي إلى قطع الحوار الذي قد ينشأ نتيجة الحماس في دفع المقاومة إلى الأمام بشكل غير مدروس. أما إذا كان الخصم هو البادئ في قطع الحوار - لأسباب تكتيكية - فسيزيد ذلك من إمكانية خلق حوار مباشر بين مجموعة النشطاء من جهة وبين المواطنين من جهة أخرى. وهذا التطور هو الشائع في مثل هذه المواقف.

إن استجابة الخصم جزء ضروري في عملية المقاومة بغض النظر عما إذا كانت هذه الاستجابة سلبية أو إيجابية، جزئية أو كلية.

العصيان المدني والعمل المباشر

وبحسب استجابة الخصم تكون طبيعة النشاط. فقد يكون من الضروري أحياناً أن يأخذ العصيان المدني صورة العمل المباشر الرمزي، ومن الأمثلة على الفعل المباشر الرمزي ما قامت به حركة السلام في السويد عندما قامت بإعاقة جدية لتصدير السلاح في عام 1983، حيث تمكنت مجموعة من النشطاء - رغم ضعفها التنظيمي - من تعطيل سفينة محملة بالسلاح لمدة ساعة، مرسلة

برسالة رمزية بضرورة وقف تصدير السلاح كليةً، وفي نفس الوقت فقد حققت هدفها بشكل رمزي ومنعت تصدير السلاح فعلاً في هذا النشاط.

وعندما تقوم حركة ما بإيواء مجموعة من المشردين ممن لا مأوى لهم فإنها بذلك تسلط الضوء على قضية المشردين، وفي نفس الوقت تحقق هدفاً من أهدافها ألا وهو إيجاد مأوى لهؤلاء المشردين.

وعندما ينام عدد من النشطاء على شريط سكة حديد معترضين سير قطار محمل بأغذية فاسدة، فهم إنما يمنعون ذلك بأجسادهم، كما يعبرون عن ضرر هذه الأغذية وعن رفضهم لها.

وتجب الإشارة هنا إلى أن العمل المباشر لا يحظر الاستعمال الرمزي للقوة. فلقد قامت مجموعة من النشطاء المسيحيين بربط أنفسهم بالسلاسل، ومن ثم ربطوا هذه السلاسل بأبواب قواعد عسكرية معروفة في بريطانيا. وهم لا يعنون بذلك أن يحققوا هدفاً باستخدام قوة السلاسل؛ وإنما يريدون أن تصل رسائلهم إلى الرأي العام البريطاني والعالمي.

وهنا يبرز سؤال هام عن أخلاقيات حركة العصيان المدني ومبرراته.

أخلاقيات حركة العصيان المدني

يجب أن يمثل العصيان المدني حافزاً أخلاقياً للمواطنين ليكون جديراً بثقتهم. وتبدو هذه الثقة مستحيلة إذا هددت حركة المقاومة باستعمال العنف، مما يخلق عند الناس حالة ذهنية من الهلع تحول بينهم وبين الاستجابة للحافز الأخلاقي، وبهذا يصبح العصيان مصدراً

للخـــوف بدلاً من الثقة. فالعصيان إذا ما كان مصحوباً بالعنف فانه يعزز قوة الخصم.

إن إدخال عنصر القوة الجسدية في المقاومة - خاصة في البداية مـــع ضـــعف الحـــركة - يؤدي إلى عزل الكثيرين من النشطاء عن المقاومـــة - خاصـــة الذين لا يمتلكون قوة جسدية. وبذلك تصبح حـــركة العصيان المدني قائمة على مجموعة مختارة بمواصفات محددة، وهو ما يضعف الحركة أمام قوة الطرف الآخر. ومشاركة المجموعات النسائية في أعمال العصيان المدني خير مؤيد لوجهة النظر هذه.

ويجب الانتباه إلى أن العصيان المدني لا يكون مؤثراً أو فعالاً إلا بمـــبررات أخلاقيةً نابعة من عدالة القضية التي قام من أجلها. فمثلاً حين يتعارض القانون المدني مع القيم الأخلاقية والدينية للمجتمع، أو يقـــوم الـــنظام بمنع الحقوق الدستورية للمواطنين مثل حق التجمع السلمي أو حرية الاعتقاد الديني، أو فرض ضرائب على أفراد المجتمع واستخدامها في حروب ظالمة أو سرقتها لصالح أسرة النظام وحزبه؛ يجـــد العـــصيان المدني مبررات قوية لقيامه بأنشطته. فتحقيق العدل يفوق الالتزام بأي قانون جائر.

إن مـــسؤولية الفرد تجاه مجتمعه ومطالبته بحقه الطبيعي في تلبية نـــداء الضمير يؤكد على وجوب مقاومة النظم الديكتاتورية وعدم الـــسماح لها بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا أو أن تملي علينا مالذي يمكننا أو لا يمكننا عمله.

إنـــنا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال مانتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال أنشطتنا فقط تـــتأكد لديـــنا إمكانية الفعل أو استحالته. ففي مفاوضات نـــزع

الـــسلاح مـــثلاً من المنطقي والطبيعي أن تكون السلطة أو الحكومة وحـــدها هـــي القادرة على تحديد أي الأسلحة تنـــزع وأيها يدمر، ولكن عندما يقوم عمال مصانع الأسلحة من نشطاء العصيان المدني بإبطال فعالية هذه الأسلحة أو نـــزعها بأنفسهم تتغير حينها قناعاتنا حـــول من بإمكانه أيضاً أن يقوم بالعمل الذي ترفض الحكومة القيام بـــه. فأشياء تبدو لأول وهلة أنها مستحيلة لكنها تحدث، وأمور تبدو في يـــد النظام وحده، لكن مجموعة بسيطة تستطيع أن تثبت عكس ذلك.

ولهذا لكي تصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما فلابد مـــن إخضاعه للتجربة وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عـــدمها. ولا ينبغـــي أن نكتفي بانهزام الإرادة والتسليم لإيهامات الخـــصم بـــأن كـــل شيء في قبضته وأننا يجب ألا نتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها.

وبالمثل فإن رؤيتنا التقليدية لما هو صحيح وما هو خطأ تتحكم بسلوكنا إلى حد كبير، فطاعة القانون مثلاً وعدم تخريب الممتلكات مبدآن أخلاقيان متجذران في ثقافة المجتمع، ولكن حين يقوم نشطاء البيئة في أوروبا بتفكيك الآلات المضرة بالبيئة والتي يحميها القانون - أي يحمي الإضرار بالبيئة وتخريب الطبيعة - سيكون من المعقد جداً أن نفهـــم هذا التعارض بين القضيتين. ماهو الصواب وما هو الخطأ. وعـــندما تقـــوم حركة العصيان المدني بالدعوة إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فإنها لا تدعو لعمل غير أخلاقي - رغم أن ظاهره قد يبدو كذلك، فقد يكون الهدف من وراء هذا الامتناع هو إيقاف عمليات الرشاوى والفساد التي تتم تحت مظلة "الضرائب".

قد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات العصيان المدني، لكن هذه الأخلاقـــيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، وما هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقناعات للتجربة بالحوار مع الخصم - ومن ثم كل المجتمع - عن طريق أنشطة واستراتيجيات العصيان المدني.

الحلقة الثالثة

العصيان المدني
ومجموعات العمل

"عندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة سرعان ما تنفد طاقتها" بير هرينجرين

نتناول في هذه الحلقة:

- **ثقافة "العمل في فريق"**
- **جذور مجموعات العمل**
- **طبيعة مجموعات العمل**
- **مميزات مجموعات العمل**
- **سلبيات مجموعات العمل**

ثقافة العمل في فريق

إن ثقافة "العمل في فريق" قيمة عظمى تفتقدها مجتمعاتنا بصفة عامة، فمجتمعاتنا قائمة على العمل والإنجاز الفردي. بينما قيمة أو كلمة الفريق تعني عدة أشياء. فهي تعني التعاون

والتواصـــل وجودة وسرعة الإنتاج، وهي الأشياء التي يفتقدها العمل الفردي.

وقد تتواجد الجماعات والحركات، ولكنها لا تستفيد من قيمة العمـــل في فريق، فتغلب عليها النـــزعة الفردية في اتخاذ القرارات، وتدريب الأفراد على التبعية المطلقة. وهو أمر يختلف كلية عن ثقافة "العمـــل في فـــريق"، والـــتي تجعل الفريق كله مسؤولاً عن العمل، والـــنجاح والفـــشل، وتمنح الثقة لكل أفراد المجموعة، وتعزز قدرتهم على اتخاذ القرارات.

وقـــد كان لهذه الثقافة دور كبير في ازدهار ونهضة المجتمعات الغربية.

جذور مجموعات العمل

أســـست الحـــركة الفوضوية الأسبانية في الثلاثينات الكثير من أنـــشطة وأعمال المقاومة القائمة على فكرة مجموعات العمل. والتي فاقـــت نتائج استخدامها كل التوقعات، وأدت إلى الانتشار السريع للفكـــرة في العـــالم الغـــربي والـــولايات المتحدة الأمريكية خلال الثمانينيات من القرن الماضي.

ولقد أحدثت مجموعات العمل ثورة في مبدأ المقاومة باللاعنف. فقبل استخدامها كان على الفرد أن يبحث عن شخصية زعامية قوية مؤثـــرة ويأمل بذلك أن ينجح النشاط وأن يؤتي ثماره. أما مع ظهور مجموعات العمل فقد أصبح التخطيط واتخاذ القرارات ونجاح العمل من مسؤولية الفريق بأكمله.

طبيعة مجموعات العمل

تتألف مجموعة العمل عادة من ثلاثة إلى خمسة عشر فرداً تجمعهم اهتمامات وأهداف مشتركة، وعادة ما يكون سر قوتها وتأثيرها نابع من قلة عددها إذ يمكنها القيام بعمل نوعي مبني على المشاركة الإيجابية لكل أفراد المجموعة، وتساعدها صغر بنيتها على مرونة حركتها وتحديد استراتيجيتها تبعاً لمتطلبات العمل. كما يضيف إلى قوتها أيضاً المرونة في الزمن، فيمكن أن تقوم بمهمة محددة قصيرة، أوتشارك في مهمات طويلة الأمد، أي تقوم بالعصيان المدني بشكل منتظم ومستمر. كما أن مجموعات العمل قد تعمل منفردة أحياناً (كمجموعة)، وقد تلتقي في عمل كبير موحد مع مجموعات أخرى.

ولمعرفة مدى ملاءمة مجموعات عمل العصيان المدني للحركات التغييرية لابد من التعرف على مميزاتها وعيوبها.

مميزات مجموعات العمل

1- ارتفاع مستوى حرية العمل واتخاذ القرار داخل المجموعة

- إذ أنها ذاتية الحركة، فتقرر آليات اتخاذ القرارات، وهي مسؤولة مسؤولية تامة عن النشاط الذي تؤديه، وذلك يمكنها أيضاً من سرعة اتخاذ القرارات، إذ يمكن تجميع أعضاء المجموعة بسرعة إذا ما حدث أمر جديد أو غير متوقع.
- كما أنها تمثل الوحدات الأساسية التي تتخذ القرارات في العمل الجماهيري.

2- كفاءة عالية ونوعية للنشاط

- حيث أن المجموعة تختار النشاط الذي يتفق مع قدراتها ومواهبها وطاقاتها، وتقوم بتنفيذ الأنشطة التي تؤمن بها.
- وتقوم بأعمال إبداعية تحفز الجمهور، حيث أن لكل مجموعة حرية الابتكار في الأداء دون الخروج على "مبدأ اللاعنف"، فيمتليء يوم النشاط بالكثير من الأفكار التي قد لا يتسنى للقيادة المركزية أن تقوم بها. وكثيراً ما يفاجأ النشطاء أنفسهم حيث يرون الكثير من الأفكار التي لم يكونوا يتوقعونها والتي تقوم بها مجموعات أخرى، فتكسب النشاط جواً مشحوناً بترقب الجديد، والتنافس للإبداع.
- كذلك تزول الرتابة عن الأعمال المألوفة مثل "المسيرات" حيث تأخذ في كل مرة شكلاً مختلفاً، فمجموعة تستعد بعرض فني، وأخرى تحمل شعارات رمزية محددة، وأخرى تعد مجسمات رمزية.
- إذا ما حدث أن فقد أحد الأعضاء السيطرة على النشاط فإن أعضاء مجموعته يدعمونه لينجح نشاطهم.

3- المرونة في الحركة

- إذ تتمتع بإمكانية وسهولة التقييم والتجديد تبعاً لمتطلبات العمل.
- وسهولة فك المجموعة وإعادة تركيبها بشكل جديد.
- وسهولة تدريبها وتعليم كل فرد فيها كيفية تكوين مجموعة جديدة في حال انفصاله عنها.
- ووقاية حركة العصيان من أخطار التكدس بالكم البشري غير الفعال، من خلال تقنين آلية تفكيك وتكوين المجموعات.

4- مجموعات العمل تضمن استمرارية المقاومة وتصاعد وتيرتها

- فعـــندما يتعرض قادة ورموز الحركة لحصار أو إعاقة كبيرة عن العمل، تختار الكثير من المجموعات الاستمرار في المقاومة.
- وعندما ينتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر بكثير من أن يتولى قيادة هذا العدد الكبير مجموعة صغيرة من القادة الذين سرعان ما تنفد طاقتهم وإمكانيتهم في الاستمرار بالعمل.
- ولا يـــتطلب أسلوب مجموعات العمل - بالضرورة - شخصية قيادية، فالمجموعة تدير نفسها بنفسها ويمكنها تبادل إدارة العمل وقيادته.
- كمـــا أنها تجنب الحركة العزلة عن المجتمع من خلال تنشيطه في مجمـــوعات عمل متنوعة تعطي الجمهور الثقة في النفس واليقين بإمكانـــية الفعـــل دون إجباره على التقوقع على تنظيم بعينه. فكـــثير من الناس عندهم استعداد أن يشاركوا مع أصدقائهم في عمـــل مـــا، لكنهم يرفضون أو يخافون من الانضمام إلى حركة كبيرة.
- كما يصعب على النظام إيقاف عمل بهذا الأسلوب لا يقوم على تنظـــيم هرمي مثلاً يتوقف فيه العمل لدى ضرب قيادته. فعندما تتوقف مجموعة عن العمل ويضرب نشاطها، فإن بقية المجموعات تعمل، وتتم بقية الأنشطة.
- والعمـــل بهـــذا الأسلوب يقلل من نسبة المتسربين من المجموعة، حـــيث تتكون المجموعة من أفراد متجانسين ومتآلفين ومتفقين على الهدف.

- غالباً ما تزول النبرة الحزبية الاستعلائية، وتقدم مصلحة المشروع التغييري على مصلحة المجموعة. فكل مجموعة تسعد بظهور أخرى تساندها. وتؤيد أي مجموعة تتقدم بالمشروع خطوة. فمجموعة العمل تعلم أن وظيفتها إنجاز نشاط أو عدة أنشطة، وأنها في حاجة إلى مجموعات أخرى. وتتجنب صراع التجنيد والضم العشوائي للأفراد، إذ أن قوتها في قلة عددها. فتزول الأنانية والشعور بالفوقية اللذين يعوقان تقدم قوى التغيير.

5- تأمين العمل

إذ تقلل من إمكانية اختراق المعادين أو المتهورين أو من يسهل استفزازهم للأنشطة، حيث أن كل مشارك في نشاط ما يكون منتمياً لأحد مجموعات العمل، وهذه المجموعات يعرف أفرادها بعضهم البعض بشكل جيد، ومن الطبيعي أن يطلب من الفرد الذي يخالف أو لا يؤمن بالخطوط العريضة أو بمبادئ اللاعنف أن يغادر المجموعة.

6- ضآلة التكلفة الأمنية

فاعتقال المجموعة لا يوقع أفرادها تحت ضغط نفسي كبير أثناء التحقيق خشية ذكر أسماء وأنشطة كل أعضاء الحركة. وأقسى الخسائر سيكون اعتقال كل أفراد المجموعة فقط. بينما لا تزال المجموعات الأخرى تتحرك.

سلبيات مجموعات العمل

- صعوبة الانضمام إلى العصيان المدني العرضي (المفاجئ والناتج عن حادثة معينة).

- مجمـــوعات العمل تخلق شعوراً بالالتزام والذي يتطلب من المرء بذل الكثير من الجهد والوقت.

إن أســـلوب مجموعات العمل يمنع تكدس حركات العصيان بـــالكم البـــشري غير الفعال. كما أن حركة صغيرة الحجم من حـــركات العـــصيان إذا اعـــتمدت فكرة مجموعات العمل فإنها تـــضاعف مـــن قوتها. وهذا الأسلوب مناسب أيضاً للأفراد غير المنـــضمين إلى حـــركات كبيرة، والذين يريدون أن يشاركوا في عملية التغيير.

إنـــنا حين ندعو للعصيان فإننا نحارب الديكتاتوريات. وعليه فإن من واجب حركات العصيان أن تطلق حرية التفكير والإبداع وتَحَمُّل مسؤولية النشاط، طالما أن العمل لم يتجاوز استراتيجيات "اللاعنف".

الحلقة الرابعة

مجموعات العمل
والتحضير للنشاط

إن مجموعة العمل تدريب على:
1 – إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة
2 – التخطيط للنشاط
3 – تطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد المجتمع

نتناول في هذه الحلقة:

- **لمن مجموعات العمل؟**
- **ما التحضيرات اللازمة لمجموعات العمل؟**
- **أين يتم التحضير؟**
- **متى يتم التحضير؟**

لمن "مجموعات العمل"؟

يضمن نظام "مجموعات العمل" كفاءة عالية في إنجاز أعمال حركات اللاعنف والعصيان المدني. ويعتبر غاندي مؤسس فكرة اللاعنف أن الإعداد الروحي والعقدي ضروري لممارسة أنشطة اللاعنف. غير أن بعض النشطاء من بعده قد طوروا هذا الأسلوب ورأوا أن المشارب العقدية والفكرية قد تجتمع معاً، ولا يحتاج الفرد

للانضمام إلى تنظيم أو حركة أيديولوحية بعينها، بل يكفي أن يكون هناك هدفاً مشتركاً بين النشطاء.

إن لدى التنظيمات الموجودة على ساحات التغيير ميزة وفرصة ذهبية لتبني أسلوب "مجموعات العمل". فلديها الأفراد الذين يجمعهم هـــدف واحد، وليس لديها مشكلة في تكوين المجموعات المتجانسة، وتلتقي المجموعات بشكل دوري عبر اجتمعاتها الرسمية. لكنها تتطلب فقط التدريب على اتخاذ القرارات، والثقة في النفس، وثقافة وأساليب العصيان المدني، بالإضافة إلى تشجيع المبادرات التي لا تخرج عن مبدأ "اللاعنف".

وبالنـــسبة للأفـــراد الذين لا يرغبون في الانضمام إلى حركات كـــبيرة، وتحركهم دوافع مشتركة للمساهمة في الحركة التغييرية، فإن تكـــوين مجمـــوعات عمل عادة ما يتم بشكل طبيعي عبر العلاقات الاجتماعية (الأصدقاء - الجيران - زملاء العمل - الأقارب) لذلك يكون التقاؤهم طبيعياً وغير مفتعل.

وســـواءً كانـــت مجموعات العمل ضمن حركات كبيرة، أو كانت مجموعات صغيرة منفردة فإنها تحتاج إلى إعدادات وتحضيرات قبل العمل، وأثناءه، وبعده.

ما التحضيرات اللازمة؟

1- تحضيرات إدارية:

- الاتفاق على اسم المجموعة وشعارها - إن كانت بحاجة لذلك.
- تحديد أسلوب إدارة المجموعة وكيفية تداول القيادة فيها، وتقنين آلـــيات الاتـــصال بالقيادة العليا (في حالة أن المجموعة جزء من

تنظـــيم). وتقـــنين آليات الاتصال بالمجموعات الأخرى - إن استدعى الأمر - في حالة المجموعات المنفردة.

- وضـــع القـــواعد العامة التي يجب أن تلتزم بها المجموعة، وتحديد آليات الانفصال وتكوين مجموعات أخرى.
- تقـــنين آلـــيات فـــض النـــزاعات باستخدام الطرق والوسائل المختـــلفة التي تساعد على تعريف وتوصيف النـــزاعات وكيفية التوصـــل لحلـــول لها، مما يوفر الإحساس بالأمن لدى المجموعة، ودعم الشعور بالثقة المتبادلة وتقبل النقد وإسداؤه بطريقة بناءة.
- تحديـــد الآلية التي سيتم تدريب أعضاء المجموعة من خلالها على أعمال وثقافة العصيان المدني وأنشطة اللاعنف.
- تقوية تجانس المجموعة، فخلق تجمع مقاوم يتطلب تعارف الأفراد، وتطوير التعاون فيما بينهم عبر التقييم المتواصل لتجانس المجموعة وتعاونها.

إن مجموعة العمل تدريب على إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حـــر في وحـــدة صـــغيرة تقوم بالتخطيط للنشاط وتطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد وثقافة المجتمع.

2- تحضيرات فكرية

- **فلـــسفة وثقافة اللاعنف:** ونشرها عبر المراجع المتخصصة مثل مـــراجع "جين شارب"، والسلسلة التي تصدرها أكاديمية التغيير وغيرهـــا، ويتضمن ذلك الروايات والأدب والشعر والتجارب التاريخية والمعاصرة المقروءة والمسموعة والمرئية.[1] التعرف على

(1) الأفلام الخاصة بتجارب حركات اللاعنف متوفرة في أكاديمية التغيير.

الحقوق الدستورية، وواجبات وحقوق الأفراد في الدولة.

- **تحليل الأوضاع**: قد تتطرق المناقشات والتحليلات إلى موضوعات كثيرة، فيُمكنُ أَنْ تَكُون حول الوضع السياسي الحالي، الحالة العسكرية، أجهزة الإعلام، حركة المقاومة، الحركة البديلة بصفة عامة، الأحزاب السياسية، اللاعنف، العصيان المدني، الظلم، الهيمنة، الظلم في المجموعة، القانون المراد تعديله أو تغييره، كما تدرس نقاط القوة والضعف لدى النظام، واستراتيجيته في البقاء، ونقاط ضعف وقوة قوى التغيير، وما الذي ستضيفه المجموعة من قوة إلى باقي مجموعات وحركات التغيير، واحتياجات الشعب والقضايا المحركة له والتي يمكن أن تحشده لمناصرة الحركة التغييرية، والعوامل والظروف المساعدة التي يمكن أن تؤثر على مسار الصراع. والمزيد من الموضوعات الأخرى.
- **قضايا فلسفية**: مثل: أخلاقيات العصيان المدني[1] وحركة اللاعنف، وما هو الحق الذي نملكه لخرق وكسر القانون؟ وكيف يمكن تفعيل الرمزية[2] في العمل؟
- **احتياجات المجموعة**: بالحديث حول الخوف والمخاطرة، والأمن، والدعم والعزلة، والاعتقال والاحتجاز، والمحاكمات والعقوبات، وأمننا وأمن الآخرين، والعائلة والأصدقاء، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بالعمل التغييري.

---

(1) للاطلاع على المقصود بأخلاقيات العصيان المدني ينصح الرجوع إلى الحلقة الثانية "الحوار لغة العصيان".

(2) الرمز الذي يشير إلى الرسالة المقصودة من النشاط مثل الشعار والزي... الخ.

3- تحضيرات للنشاط نفسه

- **تحديد أهداف النشاط بدقة:** (احتياجات الأفراد - احتياجات المجموعة - احتياجات المجتمع) ومناقشة رسالة النشاط، والدافع، والرمزية، والأولويات.
- **تحديد بؤرة النشاط:** والتركيز على الأشياء الأكثر أهمية، وتحديد أقوى الوسائل لتحقيقها بدلاً من استخدام مواردنا المحدودة في كل أنواع الأنشطة والقضايا. وهذا التركيز يساعد على الوضوح: هل رسالة النشاط مفهومة؟ وهل تمثل حافزاً للجماهير؟ وهل تصل إلى المستهدفين منها؟ وما أفضل الوسائل لإيصالها؟.
- **تحديد وسائل الاتصال:** لخلق حوار مع الخصم ومع بقية المجتمع؟ والتي تتضمن الإعلام والمحاكمات والاتصال الشخصي مع العمال وصناع القرار، والخطابات والرسائل، والحلقات الدراسية والدورات التدريبية... الخ.
- **بناء القدرة وتوزيع الأدوار:** فقبل البدء في أي نشاط لابد من تقييم أو تقدير قدرة كل فرد على تنفيذه، وإعطائه الفرصة للتفكير ومراجعة تردده وتردد الآخرين في المشاركة، والتريث إذا وجد أنه من الأفضل لهم أن ينتظروا فترة قبل المشاركة في الأنشطة. وعلى كل فإن المجموعة تقيس قدرتها على الفعل فإن وُجدت أتمت نشاطها، وإن لم توجد سعت لبناء قدرتها وتطوير أفرادها وتدريبهم. ولا يجب قسر الأفراد على أدوار بعينها. بل يجب أن تختار كل مجموعة الدور الذي يتفق مع مواهبها ومهاراتها.

- **عمـــل الأبحاث**: للحصول عن المعلومات اللازمة وقد يتم ذلك عـــبر المؤســـسات الحكومـــية أو الإنترنت أو دليل الهاتف، أو الـــزيارات الميدانـــية ومراقبة الأماكن المستهدفة ورسم خارطة للموقع ومدى بعد وقرب المكان من مقار الشرطة ومن الجماهير وذلك بحسب طبيعة النشاط.
- **تـــبادل المعلومات**: ويتم بين أفراد المجموعة عبر مختلف الوسائل ومـــنها الإنتـــرنت والقوائم البريدية. كما يمكن الحصول على معلـــومات عـــن أي مؤسسة بإرسال السؤال لها عبر الإنترنت وانتظار الرد بعد أيام، ويمكن كذلك الاحتفاظ ببعض المعلومات الهامة والمتعلقة بالمجموعة على شبكة الإنترنت بسبل متعددة. كما يعـــد الإنترنت وسيلة هامة للاتصال بحركات العصيان في كل أنحاء العالم لتبادل الخبرات. كذلك يستخدم الهاتف (المحمول) في الاتصالات السريعة.

4- تحضيرات نفسية

وتتركز عادة في كسر حاجز الخوف من عواقب العمل. وتأكيد عدالـــة القضية، وتعزيز الشعور بإمكانية الفعل. ويقول بير هيرنجرين عن أحد الحركات المهتمة بنـــزع الأسلحة التدميرية:

"نحن نحاول نـــزع سلاح مخاوفنا الخاصة.

كما أننا نحاول أيضاً نـــزع سلاح جدران الحماية الأخرى التي بنيناها لنتجنب المخاطر الشخصية.

كما أننا نحاول نـــزع سلاح العنف والقمع والاضطهاد الذي قد يوجد داخل المجموعة نفسها.

وفي النهاية فنحن نحاول - من خلال أنشطتنا - نـــزع سلاح العنف والخوف والشك من المجتمع.

نحـــن نحاول التغلب على مخاوفنا لاكتساب الشجاعة لممارسة العـــصيان المدني، وحتى حينها يظل الخوف موجوداً. ونحن لا نقاوم الظلـــم والقمع والاضطهاد لكي تختفي النـــزاعات ولكن حتى يمكن التعامل مع النـــزاعات من خلال العمل الحر."

أين يتم التحضير؟

وعادة ما يتم هذا الإعداد من خلال:

- الاجـــتماعات الرسمية للمجموعة والتي يكون لها جدول أعمال محدد في كل مرة.
- اللقـــاءات الاعتيادية (العمل - الجامعة - النادي - المطاعم - المكتـــبات العامة) حيث تستفيد المجموعة من أماكن الاجتماع الطبيعـــية في الحديث وعرض الأفكار المتعلقة بالعصيان. دون أن تشعر بغربة عن مجتمعها، أو تحوط نفسها بسياج من السرية.

متى يتم التحضير؟

- **تحـــضيرات قبلـــية**: وتكون قبل العمل لمناقشة الأفكار وتحديد الأنـــشطة وأفضل الأساليب وتوزيع الأدوار. فتجتمع المجموعة مـــثلاً لمدة ثلاثة أيام معاً لمدارسة المواضيع المطروحة. ولإنضاج الفكـــرة فإنـــه ينصح أن تمر بخمسة إلى عشرة لقاءات اعتيادية. ويجـــب عـــدم الوقوع في أسر الشلل التحليلي الذي يسرف في الدراســـة النظـــرية بشكل يحول دون القيام بالعمل، حيث أن

اكتساب الخبرة عن طريق الممارسة العملية مهم لنجاح العمل وتطوير التصور النظري.

- **تحضيرات أثناء العمل**: للمراجعة وتحديد ما إذا كانت هناك حاجة لأي نوع من أنواع التعديلات أو الدعم.
- **تحضيرات بعدية**: عادة ما تقوم المجموعة بعد انتهاء العمل بأخذ فترة راحة من الأنشطة المتتابعة لتقييم العمل وتحديد الإيجابيات والسلبيات والتفكير فيما ينبغي عمله، ومراجعة الحاجات الشخصية وحاجات المجموعة وحاجات المجتمع.

الحلقة الخامسة

الأنشطة والحوار

إن هدف النشاط هو خلق الحوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته.

نتناول في هذه الحلقة:

- **المجموعات الثلاث**
- **النشاط الموجه بين التهيب والسلبية**
- **النظام والمجتمع**
- **النشاط الموجه لمن؟**
- **نماذج للأنشطة**

لقـــد ذكر منظر حركة اللاعنف "جين شارب" في السبعينيات 198 وسيلة من وسائل هذا الكفاح، والتي صنفها في ثلاث مجموعات رئيسية.

المجموعات الثلاث

1. أساليب الاحتجاج والإقناع باستخدام اللاعنف (مثل التظاهرات والمسيرات السلمية وتوزيع النشرات ووضع ألوان معينة...)

2. أساليب اللاتعاون (وتعني رفض التعاون مثل الإضرابات والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لمؤسسات الدولة...).
3. أساليب التدخل اللاعنيف (تعطيل الأعمال الاعتيادية واحتلال المكاتب وإنشاء مؤسسات وحكومة موازية...)

وحيث أن موضوعنا هو العصيان المدني وهو جزء من منظومة حرب اللاعنف، ويتبلور في أدوات المجموعة الثانية "اللاتعاون" من أسلحة حرب اللاعنف، ويعمل عادة بموازاة الأنشطة الأخرى، فإننا سنتخذ من الحديث عنه ودراسته نافذة للإطلال على أنشطة حرب اللاعنف، وذلك لشحذ الأذهان بالعلم الذي يدفع إلى الابتكار والإبداع في مواجهة النظام الديكتاتوري.

النشاط الموجه بين التهيب والسلبية

إن التهيب من ممارسة العمل السياسي وانتظار الآخرين أن يقوموا به نيابة عنا نابع من عدم إدراكنا أننا نمارسه من خلال أعمالنا اليومية، كالذهاب إلى العمل والتعاون مع الزملاء وطاعة الرؤساء والذهاب إلى السوق... الخ.

ولهذه الأنشطة اليومية تبعات سياسية وإن لم ندرك نحن ذلك، وتقوم هذه الأنشطة السياسية بمد المجتمع بحركته الديناميكية والتي إن توقفنا عنها أصيب المجتمع بالشلل.

ويفترض أن تصب هذه الأعمال في اتجاه تطور ونماء المجتمع، وللأسف فإن عدم إدراكنا للطبيعة السياسية لأعمالنا اليومية، وعدم وضعها في إطار يهدف الى تنمية وتقدم المجتمع، قد يأتي بنتيجة

عكسية سلبية الأثر على المجتمع من حيث لانشعر.

وتساعد ثقافة العصيان المدني في توعية المجتمع وأفراده بهذه الحقيقة، والمطلوب أن يضع الفرد نصب عينيه الهدف التطويري والتنموي من عمله اليومي، فإذا كانت نتيجة العمل سلبية أو هدامة وجب التوقف عنه، وبهذا يقوم الفرد بممارسة العصيان المدني بوعي وعلى بصيرة، ويستطيع أن يشرح ذلك للآخرين ويشجعهم عليه. ومثال ذلك ما لمسته حركة الشارع العربي في السنوات الأخيرة من مقاطعة البضائع والمنتجات الأمريكية حين رأى الناس أن في دعم تلك المنتجات إضراراً بمصالح المجتمع والمنطقة ككل.

النظام والمجتمع

ولأن للمجتمع نظام يحكمه نابع من تفويضه لأفراد يقومون على خدمته وتنظيمه فإن المراقبة الدائمة لأداء هذا النظام من أهم وظائف المجتمع، وحين تكون إدارة النظام الحاكم للمجتمع سلبية ومدمرة؛ فإن استمرار الأفراد على نفس وتيرة أعمالهم اليومية يعني الاستسلام والمشاركة الفاعلة في بقاء النظام الفاسد.

فجميعنا إذاً مسؤولون عن ديمومة الظلم وتخلف المجتمع بتفاوت حجم المسؤولية من شخص لآخر، غير أن كل شخص مسؤول عن مدى استهانته بأهمية نشاطه اليومي في المجتمع، ومايمكن أن ينتج عن ذلك من إذعان وطاعة للحكام، فمن خلال صمتنا وخدمتنا للنظام - فاسداً كان أم صالحاً - عبر أعمالنا اليومية فإننا نشارك في دعمه وتثبيت أركانه. وبإدراك هذه الحقيقة

يمكـــن للفـــرد أن يستخدم نشاطه اليومي ويوجهه وجهة إيجابية للتخلص من الفقر والتخلف واللذين هما وجه العملة الآخر للظلم والاستبداد.

النشاط الموجه.. لمن؟

بـــإدراك المعـــنى الـــسابق يمكن أن نحدد الأطراف المستهدفة بأنشطتنا، وسيجد الدارس أن هذه الأطراف هي:

1. النفس.
2. المجتمع.
3. النظام.

1- النشاط الموجه للنفس

- هزيمة اليأس الذي يؤدي إلى العنف أو الاستسلام (وجهين لعملة واحدة) وكلاهما قد يؤدي إلى المشاركة الفاعلة في إبقاء الظلم. فالـــنظام الدكتاتوري يعمل على دفع الناس إلى اليأس فإن أدى ذلـــك بالـــناس إلى السلبية - وهو مايريده النظام ويسعى إليه- ازداد النظام في جبروته، وإن أدى اليأس إلى العنف ازداد الظالم في قمعه واتخذ من العنف ذريعة للقمع والبطش.
- تجـــنب الانفصام الشخصي بين الفرد ككائن منفرد وبين المجتمع ككـــائن آخـــر، فمـــصلحة الفرد من مصلحة المجتمع والعكس بـــالعكس، وإن كل حركة يقوم بها الفرد تأتي بنتيجة سلبية أو إيجابية على المجتمع.
- كسر حاجز الخوف من عواقب النشاط والتي تتمثل في العقوبات التي تنال الفرد. ويلاحظ أن الناشط عادة مايكون متهيباً من أي

نشاط جديد في البداية، لكنه لا يلبث أن يعتاده ويراه عملاً طبيعياً. لذلك فاندماجنا في أنشطة العصيان كفيل بكسر حاجز الخوف والأوهام التي بداخلنا.

إن المفتاح هو الفرد وإدراكه لقيمة العمل الذي يؤديه بشكل اعتيادي يومي في المجتمع وأن هذا العمل إما أن يكون مقوضاً أو داعماً لشرعية النظام وبقائه.

2- النشاط الموجه للمجتمع وشرائحه

ويوجه الحوار (النشاط) إلى أربعة أصناف رئيسة:

- الذين يطيعون الحكام (مثل الذين يدفعون الضرائب) وقد نكون من هؤلاء ونحن لا ندري.. فندعو للعصيان المدني ونحن أحد عقبات نجاحه.
- العمال والموظفون المشاركون في النشاط الذي نعارضه (مثل القائمين على جمع الضرائب)
- رؤساء الأعمال في المواقع المستهدفة وصناع القرار.
- كل من له سيطرة في عمله وهؤلاء قد يكونون (الأقرباء - الزملاء - الشرطة - القضاة) بالإضافة إلى أنفسنا عندما نكره أن نسبب مشاكل في أعمالنا جراء العصيان.

والأنشطة لا تستهدف هؤلاء الأربعة في نفس الوقت، فقد يستهدف النشاط مرة خلق حوار مع دافع الضرائب، ومرة أخرى مع القانونيين، ومرة يستهدف خلق حوار مع الشرطة لتحييدها وهكذا.. وخلاصة القول أننا في كل نشاط نسعى إلى خلق حوار، لتزداد قوافل المقاومين، ولتقويض قوة النظام في نفس الوقت.

3- النشاط الموجه للنظام وأدواته

وهنا لابد من التركيز على أن النشاط يهدف إلى فتح حوار مع الخصم وإقناعه بضرورة الاستجابة لمطالب المجتمع لا السيطرة عليه وقمعه، وأن الحاكم خادم للمجتمع يقوم بتنفيذ إرادته لا العمل على استعباده، فإذا اقتنع النظام بذلك تحاور معه ممثلو المجتمع من أحزاب وجماعات ضغط للحصول على مكاسب حقيقية للمجتمع وليس للحركة أو الحزب، وإن امتنع عن الحوار أو رفض المطالب الشعبية استعرض المجتمع قوته الحقيقية ونشاطه الذي لايوقفه فرد أو مجموعة أفراد في سدة الحكم.

لقد بينا في أكثر من موضع في سلسلة الحلقات أن العصيان المدني بالأساس يهدف إلى خلق حوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته. لذلك يجب أولاً أن نحدد مع من سنتحاور، وعندئذ نستطيع أن نحدد لمن يوجه الفعل؟ وماهو الفعل؟

نماذج للأنشطة

هذه نماذج نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

1. دعم وإيواء النشطاء المطلوبين للنظام.
2. نزع هيبة وشرعية النظام.
3. الأعمال الاستباقية.
4. الاعتراض الضميري ولبس الأحذية الخشبية.
5. الاعتراض الضميري على الخدمة العسكرية الإجبارية.
6. احتلال المكاتب.

7. التخييم بجوار مكان مستهدف.
8. إقامة العوائق واعتراض الحافلات.
9. إيقاف فاعلية الأسلحة المستخدمة ضد أنشطة الحركة.
10. حملات المقاومة المتلاحقة.
11. الاعتقال.
12. التحقيق.
13. المحاكمة.
14. السجن.
15. الاتصال.
16. الإعلام الجماهيري.

الحلقة السادسة

حملات المقاومة

"إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن ينتج عن رؤية كلية لخارطة الصراع." أكاديمية التغيير

نتناول في هذه الحلقة:

- **أولاً: تعريف الحملات**
- **ثانياً: أنواع الحملات**
- **ثالثاً: أهداف الحملات**
- **رابعاً: عوامل نجاح الحملات**

أولاً: تعريف الحملات

تتكون حملات المقاومة من سلسلة من الأنشطة الهادفة إلى تحريك المجـــتمع نحو الإيجابية ونبذ السلبية وتوجيه الرأي العام لاتخاذ موقف بناء إزاء قضية، والضغط على النظام ليتخذ موقفاً استجابة للإرادة الشعبية.

ثانياً: أنواع الحملات

- **الحملة الجزئية:** وتكون غالباً في المراحل الأولية في حياة المقاومة وتستهدف قضية من القضايا التي تهم المجتمع مثل قضية البطالة،

أو الاعتراض على قانون جائر مثلاً، وتتدرب المقاومة خلال هذه المرحلة على ممارسة العمل، وإحسان الفعل، وإتقان التخطيط والتحليل، وبناء التضامن المطلوب بين فصائل المقاومة وشرائح المجتمع، حتى تحين ساعة التغيير الشامل المنشود.

- **الحملة الشاملة**: وحين تنجح المقاومة في حشد وتفعيل طاقات المجتمع بكامله، ليصبح مستعداً لحمل رسالته، والدفاع عن إرادته، تأتي مرحلة التخلص من الدكتاتورية وبناء المجتمع السياسي المدني كحلقة طبيعية في سلسلة البناء.

ثالثاً: أهداف الحملات

إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن تنبع من رؤية كلية لخارطة الصراع... وبذلك يمكن النظر إلى أهداف الحملة كالتالي:

- **الهدف الأساسي**: إن هدف الحملة الأساسي والنهائي هو تحويل ميزان القوة وتحريرها من يد الأقلية الدكتاتورية الحاكمة إلى يد الأغلبية المحكومة.
- **الأهداف المرحلية**: أما الأهداف المرحلية أو الفرعية فيمكن تحقيقها عبر نشاط أو عدة أنشطة فرعية. حيث تتمكن من إنجاز هدف واحد أو عدد من الأهداف بحسب نوع النشاط ومناسبته للمرحلة التي تمر بها حركة المقاومة.

ونذكر من هذه الأهداف على سبيل المثال لا الحصر:

1. بناء قدرة المجتمع على الفعل عبر استخدام النشاط كوسيلة للاحتكاك بالجمهور وإدارة حوار معه لإقناعه بضرورة مشاركته في الصراع لبناء المجتمع المدني.

2. البحث عن الشرائح المختلفة في المجتمع والمفاتيح أو القضايا التي تهمهـــا وتُكوِّن لديها الاستعداد لخوض الصراع من أجلها. وهنا قـــد تتناول الحملة قضية اجتماعية لتصل بها إلى الأحياء الشعبية مثلاً، ويكون شعار الحملة ملامساً لآلام وآمال الجماهير بهدف تحـــريك فئات وشرائح المجتمع نحو المشاركة الفعالة في الصراع المدني.
3. تقـــويض قوة النظام باستهداف مفصل من مفاصل قوته مثل نـــــزع الشرعية عنه، أو إقناع أدوات القمع التي يستخدمها مـــثل الشرطة والأمن المركزي والجيش بأنهم يحمون نظاماً لن يكـــتب له البقاء. إن حركة المقاومة تتزايد وستضم أبناءهم، وإن مكـــانهم الطبيعي مع أبنائهم والجماهير وليس ضدهم. هذا إقـــناع لا يـــتم عبر الكلام فحسب، بل يتم عبر الأنشطة التي تلامـــس همومهم وتلبي احتياجاتهم، ويزداد المشاركون فيها يوماً بعد يوم.

رابعاً: عوامل نجاح الحملات

هناك عدة عوامل تؤدي إلى نجاح الحملات نذكر منها:

التخطيط والتقويم

يجـــب أن توضـــع الحملات ضمن خطة كلية ولا تصبح عملاً ارتجالياً يتساءل بعده المشاركون.. إلى أين؟؟!!.. وبعد انتهاء الحملة يجـــب تقـــويمها ومعـــرفة مـــدى نجاحها في تحقيق أهداف المرحلة والاستفادة من التجربة وعدم تكرار الأخطاء.

التدريب

يجب أن تستخدم الحملات كوسيلة لتدريب الجمهور على أعمال اللاعنف، وعلى تأكيد رفض العنف كأسلوب للتغيير، ورفض إرهاب النظام وسرقته لإرادة الشعب، بأسلوب متحضر معتمد على سياسة حرب اللاعنف. حيث (تصمم الأعمال الأولى في حملة تقويض النظام الدكتاتوري لمحاورة الرأي العام واختباره ومحاولة التأثير عليه ولتحضير المواطنين لنضال مستمر من خلال اللاتعاون والتحدي السياسي).[1]

التدرج وعدم الاستعجال

ينبغي بدايةً القيام بحملات جزئية تهدف إلى خلق حوار مع الجمهور لنقله من مقعد المتفرج إلى الفاعل، وتدريبه بحيث يكون مستعداً لحملة شاملة حاسمة، إذ أنه (من الصعب تفكيك مصادر قوة نظام الحكم الدكتاتوري بشكل كامل وسريع في المراحل الأولى من النضال، لأن هذا يتطلب أن يقوم المجتمع ومؤسساته - والتي كانت تعاني في الماضي من السلبية - برفض تام وتحدي مفاجئ للنظام عن طريق استخدام اللاتعاون الجماهيري الواسع. لذلك فإن محاولة القيام بحملة سريعة من اللاتعاون الكامل أو التحدي الشامل يعد نوعاً من الإستراتيجية غير الواقعية لحملة مقاومة في مراحلها الأولية).[2]

---

(1) Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework For Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org

(2) Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework For Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org

الرمزية

وللرمزية ثلاث معان يجدر بنا أن نشير إليها:

الأول: الرمزية في شكل العمل: مثل عمل عزاء أو لبس السواد اعتراضاً على قضية ما.

الثاني: الرمزية في مدة العمل: أن يكون العمل رمزياً أي لفترة محددة ومؤقتة. مثل الفارق بين الاعتصام أو الصيام عن الطعام لفترة محـــددة بدلاً من الإضراب عن الطعام، إذ يعطي الأول رسالة مفعمة بالأمـــل أن السلطات سوف تستجيب، والثاني محمل باليأس أنه لا فائدة وأننا سننتهي إلى المعاناة الشديدة أو الموت بسبب النشاط.

وعـــن المعنـــيين السابقين يقول جين شارب: (تأخذ الأعمال الأولى من اللاتعاون والتحدي السياسي شكل أعمال أو احتجاجات رمزية من اللاتعاون المحدود أو المؤقت).[1]

الـــثالث: الرمـــزية في أســـلوب العمل: إيصال رسالة ضمنية لتحريك الجماهير، على سبيل المثال: إن انتزاع الحرية لن يتم بتفويض قلـــة مـــن أبناء المجتمع تقوم بالنضال نيابة عنه، وإن العمل الذي يحتاج جهـــود معظم فئات المجتمع لا يمكن أن يتم بإلقاء مسؤوليته على عاتق القلـــة. وهنا يكون هدف النشاط إعلام الأغلبية السلبية من الجمهور بـــأن اللاتعـــاون ممكن إذ قمنا به نحن الأقلية الإيجابية، وإن مشاركة الأغلبية ضروري لكي يؤتي العمل ثماره المطلوبة، فإذا استهدفت المقاومة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين مثلاً وكان عددهم خمسة أفراد، فإن

---

(1) Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework For Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org

الاكـــتفاء بتحريـــر نصفهم يعطي هذه الرسالة: أن الاستجابة لمطلب إطلاق سراح المظلومين ممكن، وأنه لو تضافرت جهود أكبر فسنتمكن من منع النظام من استخدام أداة الاعتقال للضغط على حركة المقاومة.

وهـــنا تجدر الإشارة بأن الأعمال الرمزية لا تهدف إلى القضاء على الأنظمة الدكتاتورية، حيث أنها غير موجهة في هذه المرحلة إلى النظام، ولكنها موجهة إلى الجمهور لبناء قدرته على الفعل.

الفاعلية وتتابع الأنشطة

تعـــتمد فاعلية الحملة على تواصل أنشطتها وتتابعها، وليس عدد الأنشطة أو الأعمال في الحملة هو الذي يحدد مدى قوتها، بل إن إدراك طبـــيعة المرحلة التي تمر بها الحركة التغييرية هو الذي يملي نوعية النشاط المطلوب، فالأنشطة التي تتم في مرحلة بناء القدرة تختلف في فاعليتها وما هو مستهدف منها عن الأنشطة التي تتم في المراحل النهائية.

ويعد تفعيل شرائح الأطفال والنساء من الوسائل الناجحة لتبليغ رســـالة النشاط المتحضر واللاعنيف ووضع النظام الديكتاتوري في مـــأزق (خانة اليك). هل تبطش بالأطفال والنساء أم تترك النشاط ينمو؟! بالإضافة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية إذ قد تحرك الأطفال – بدلاً من استمتاعهم بطفولتهم- فما بال الكبار وهم أولى بالتحرك لمناصـــرة قـــضاياهم وأطفالهم، وقد يتحرك أطفال وأبناء المسؤولين والمـــوظفين في أجهزة القمع الشعبي مما يقنع أفراد هذه الأجهزة بأن مكانهم مع أطفالهم في الشعب وليس ضدهم.

التصعيد

إن الحمـــلات يجب أن تبدأ تدريجياً في اتجاه التصعيد كما يرى

غانـــدي، فلا تفقد فاعليتها. أما إذا بدأت بشكل قوي ثم ضعفت فهـــذا أمـــر خطـــير ينذر بفشل الحملة، وهو ما يحدث عندما تلجأ المعارضة لحملات قوية ثم تضعف ويبدو للناظر من بعيد أنها تلاشت.

ورغم أن التأثير السياسي للحملة قد يكون هو الأسرع، إلا أن تغيير سلوك الناس من الطاعة والإذعان إلى مقاومة الظلم والقمع هو الأهم.

الاستمرارية والانقطاع

(تقع وطأة النضال على قطاع أو أكثر من المواطنين خلال تنفيذ حمـــلات المقاومة، ثم يتحول عبء النضال إلى مجموعات أخرى في مـــراحل لاحقـــة، بحـــيث تحـــصل أقسام من المواطنين على فرصة للاســـتراحة والـــتقاط الأنفاس بينما تستمر المقاومة بجهد قطاعات أخـــرى، فمثلاً يقوم الطلاب بتنفيذ إضرابات احتجاجًا على قضايا تعليمـــية، ثم يقـــوم القـــادة الدينيون والمؤمنون بالتركيز على قضايا الحريات الدينية، ثم يقوم عمال سكك الحديد بإبطاء حركة القطارات، ويقـــوم سائقو التاكسي والحافلات بإبطاء حركة المواصلات وسيارات البوليس والأمن المركزي، ثم يقوم الصحفيون بتحدي الرقابة من خلال نـــشر المقـــالات الممنوعة، وتقوم الشرطة بتقديم تقارير حول فشلها في إيجـــاد واعـــتقال أشخاص مطلوبين من أعضاء المعارضة. إنه تقسيم مـــدروس لحمـــلات المقاومة حسب نوع القضية المطروحة وحسب مجموعات السكان).[1] إن ذلك يتيح استمرارية الحملة دون أن يرهق كل فئات وشرائح المجتمع في نفس الوقت.

---

(1) Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework For Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version. www.aeinstein.org

التركيز على فاعلية الحملة

تعتمد فاعلية النشاط على قدرته على خلق حوار مع الجمهور ومع النظام، وإلا لن تتجاوز الحملة أن تكون دعاية وضجة إعلامية، لا يلبث الناس أن يعودوا بعدها إلى منازلهم، ولما يتغلبوا على عقد الخوف والإذعان والسلبية بعد، لذلك فإن إبقاء الحوار مستمراً والاتصال بالجمهور شرط أساسي لنجاح الحملة.

ويتم الحوار قبل وأثناء وبعد الحملة، فقبل الحملة يتم الدعوة إليها وإقناع الجمهور بالمشاركة، وبعد الحملة يتم الحديث عنها وشرح الفائدة منها عبر كل الوسائل الممكنة، أما أثناء الحملة فيجب أن تنمى الاتصالات الشخصية، وتبنى العلاقات الاجتماعية، ويهتم بالصداقات.

التعاون وتقدير الجهود المختلفة

إن نجاح الحملات في تحقيق الأهداف المرجوة يستدعي عدم تحقير أحد الأدوار التي تقوم بها أحد المجموعات، أو تصور أحد جماعات المقاومة بأنها قادرة على التغيير بدون التعاون مع الحركات الأخرى، أو بدون تفعيل المجتمع ككل، أو أن المكاسب التي حققتها أعظم من أن يتم التفريط فيها فتتخلى عن الرؤية النهائية أوعن شركائها في حركة المقاومة، وكلها نقاط سيحاول النظام في أحد جولات الصراع من استخدامها والتلاعب بها.

وفي النهاية - إن أحسنت المقاومة التخطيط والتنفيذ والتعاون- ستتفاعل الحركات ومجموعات العمل المختلفة تفاعلاً حيويا وفعالاً حتى يكاد أصحاب المقاومة لايصدقون أنهم تمكنوا من إقامة هذا البناء.

الحلقة السابعة

حملة مواجهة القمع

"لابد من إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه" أكاديمية التغيير

نتناول في هذه الحلقة:

- **أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع**
- **ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري**
- **ثالثاً: من أهداف الحملة**
- **رابعاً: استراتيجية جديدة**
- **خامساً: متطلبات الاستراتيجية**
- **سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية**
- **سابعاً: القواعد الذهبية**

أولاً: الصراع السياسي وحملة مواجهة القمع

ينشأ الصراع السياسي نتيجة لوجود اختلاف في المصالح أو الرؤى بين أطراف المجتمع المختلفة.

ويمكن تقسيم هذا الصراع إلى نوعين:

صـــراع منخفض الحدة (تنافسي): حيث يُحسَم الصراع من خلال التنافس بين الأطراف المختلفة عبر آليات الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة كما يحدث في الدول الديمقراطية.

صـــراع مـــرتفع الحدة (صفري): حيث يُحسَم الصراع من خلال التدافع بين الحركات الوطنية والأنظمة الحاكمة، وهو مايحدث في الـــدول الدكتاتورية، وغالباً ما ينتهي بالقضاء على أحد الطرفين، ويحتاج فيه النظام الدكتاتوري إلى القمع لضمان استمرار سيطرته.

ثانياً: حقيقة القمع في الصراع السياسي الصفري

إن الـــصراع الـــسياسي الصفري لابد وأن يمر في أحد أطواره بمرحلة القمع، والذي لايجد النظام بداً من اللجوء إليه لاجبار المجتمع على القبول ببقائه وشرعيته.

وفي مرحلة القمع يحتاج النظام في صراعه مع القوى الوطنية – والـــذي من المفترض أن يكون صراعاً مدنياً دستورياً – إلى المبررات الـــتي تـــسوغ لجوءه للقوة لإقناع المجتمع الدولي والمواطنين، وهذه المبررات تنقسم إلى نوعين:

1. **مبرر أو غطاء أخلاقي**، وهي ضرورة إنسانية (ضرورة ضميرية): مثل التبرير بحماية الشباب من التغرير بهم وغسل عقولهم وحماية المجـــتمع من الحركات المشبوهة التي تستعين بالجهات الخارجية وبالتمويل الأجنبي لتدمير المجتمع وإضعافه.
2. **مـــسوغات قانونية أو غطاء عقلي**، وهي ضرورة للتقبل العقلي (ضرورة عقلية): من قبيل مخالفة القوانين والاعتداء على الممتلكات العامة وتعطيل مصالح الجماهير والانتماء لتنظيمات محظورة.

وبالمقابل تسعى الأطراف المقاومة إلى تفنيد مزاعم النظام الأخلاقية والقانونية، وتبيان عدالة ونبل القضية التي تدافع عنها، والتصريح بأنه ليس من حق النظام غير الشرعي استخدام العنف ضد المجتمع، بدلاً من الدخول في صراع سياسي مدني ومتحضر.

وانطلاقاً من فهم المجتمع ونشطاء المقاومة لحقيقة القمع تبدأ حملة المقاومة للنظام المعتدي لتحويل أداة القمع لصالح المجتمع، وذلك عن طريق إدراك الأهداف والاستراتيجية وتطبيق الوسائل والتدريبات المناسبة لمواجهة وسيلة القمع هذه، والتعامل معها على أنها فعل سياسي بحت بغض النظر عن المبررات القانونية والأخلاقية التي يختلقها النظام.

ثالثاً: من أهداف الحملة

تختلف أهداف الحملة باختلاف مرحلة الصراع، ففي المرحلة الأولى للمقاومة وهي مرحلة بناء القدرة، تكمن أهداف حملة مواجهة القمع في الهدفين التاليين:

1. الحد من فاعلية أداة القمع وتحويلها إلى نقطة قوة للحركة التغييرية ونقطة ضعف للنظام (تجريد النظام من أحد أدوات قوته والمتمثلة في القمع).
2. تدريب النشطاء على كيفية التعامل مع أسلوب القمع.

وتحقيق هذه الأهداف يتطلب من الحركة التغييرية أن تتبنى نظرة استراتيجية إيجابية.

رابعاً: استراتيجية جديدة

ولتوضيح المقصود من استراتيجية جديدة أو إيجابية دعنا نتأمل هذا المثال:

لـــو اضـــطر لاعب الدفاع لعرقلة مهاجم الفريق المضاد داخل منطقة الجزاء، كيف ينظر كلا الفريقين لهذه الحركة؟

الفريق المدافع:

1. الفـــريق المدافـــع اضـــطر إليها كمحاولة ربما يائسة لمنع تسديد الهدف.
2. هـــناك نتيجة إيجابية ترتبت على هذا التصرف، ألا وهي تأخير الهدف وليس منعه، أو بمعنى أدق أخر هذا التصرف مرتبة الفريق المهاجم من الفوز الأكيد إلى مرتبة احتمال الفوز.
3. وهناك نتائج سلبية قد تترتب على هذا التصرف، مثل أن الهدف سيـــسجل حتماً لو أحسن الفريق المهاجم استثمار الفرصة، أو احتمال طرد لاعب الدفاع المعتدي، وحرمانه من المباراة القادمة أو على الأقل حصوله على الكارت الأصفر.
4. قـــد لايحسن الفريق المهاجم استغلال الفرصة فيهدر التسديدة، وعندها تصبح مخاطرة لاعب الدفاع مقبولة.

الفريق المهاجم:

1. علـــى الفـــريق المهاجم ضمان تسديد الهدف عن طريق اختيار أفـــضل لاعب تم تدريبه على تسديد ضربات الجزاء، ووضع أي أنانـــيات أو مـــصالح شخصية أو خلافه بعيداً من أجل مصلحة الفريق.

2. هـــناك مكاسب أخرى ممكنة مثل طرد اللاعب المدافع ومن ثم معاقـــبة الفريق المدافع واضطراره أن يلعب بفريق أقل عدداً، أو الفوز الكامل بالمباراة عن طريق حجب الأهلية عن الفريق المدافع وإخـــراجه مـــن الدورة كلية إذا قام بالتصعيد ولم ينصاع لأمر الحكم.
3. أسوأ احتمالات الفريق المهاجم أن يضيع كل هذه الفرص بسبب جهل أو أنانية أو...

وهكـــذا فـــإن المطلـــوب من الحركة التغييرية إمعان النظر والتفكير في كيفية استثمار الأعمال القمعية لتحويلها إلى أداة فعالة في يد المقاومة والمجتمع في صراعه ضد الديكتاتور.

خامساً: متطلبات الاستراتيجية

1. التفكير العميق في كيفية تحويل تلك الإجراءات القمعية التي يلجأ إلـــيها النظام من نقطة قوة يضبط من خلالها المعترضين إلى نقطة ضـــعف تمثل هاجساً مزعجاً له، وكيف يتحول القمع إلى أداة فعالـــة في يد الحركة التغييرية بحيث يتحول اعتقال أحد النشطاء مـــثلاً إلى مكـــسب للحركة وخسارة تخصم من رصيد النظام، ويعتمد حجم المكاسب على دهاء الفريق الإداري وإمكانياته في استثمار الأحداث.
2. تحتاج مجموعات العمل إلى تدريب دقيق للتعامل مع أداة القمع، فبإمكان نشطاء الحركة التغييرية - إذا كانوا مُعَدِّين ومُدربين - أن يُحدثوا تأثيراً كبيراً من خلال تنسيق استراتيجيتهم في طريقة الـــتعامل مـــع وسائل القمع مثل الضرب والحصار والاعتقالات

والسجون والمحاكمات والدعاوى القضائية، وبتأثير لا يقل فاعلية عن الأنشطة التي أدت إلى اعتقالهم، وهو جزء لايتجزأ عن أنشطة المقاومة اللاعنيفة.

إن الدور المنوط بالحركة التغييرية هو إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه.

مثال

قد يقوم النظام باعتقال أحد رموز الحركة التغييرية.

مكاسب الدولة: تحجيم نشاط هذا الفرد، وتوصيل رسالة إلى الحركة، وقياس رد فعلها، ومدى تضامنها في حالة استهداف أفراد من الطرف أو من القيادة،..

خسائر الدولة: تظاهرات مستمرة، حملة إعلامية شرسة، ضغوط خارجية، أصبح الفرد المراد تحجيمه رمزاً محلياً وعالمياً،..

وهكذا فإن تكلفة القمع (الخسائر) أصبحت أعلى بكثير من المكاسب، وبالتالي لن يقدم النظام على مثل هذا العمل بسهولة، وبالتالي يضطر إلى البحث عن أدوات أخرى للصراع السياسي.

3. العمل على توفير مساحة كبيرة من الحرية في تعامل النشطاء ومجموعات العمل مع الأحداث وتشجيع الإبداع، من خلال إمداد النشطاء بورقة استراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أسس ومبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة وتبين نوعية التصرفات التي تضر بالعمل) ثم اعتماد اللامركزية ومجموعات العمل.

سادساً: من وسائل تحقيق الاستراتيجية

ونقـــدم هنا بعض الأمثلة على الوسائل التي يمكن أن تستخدم لتحقيق الاستراتيجية الجديدة، وهذه الأمثلة مذكورة على سبيل المثال لا الحـــصر، وإن المـــواهب والأفكار المختزنة في عقول أفراد المجتمع يمكـــنها أن تـــصل بأعمـــال المقاومة إلى المدى الذي يذهل النظام والحركات التغييرية نفسها:

1. تحييد رجال الشرطة عبر مسارين:

الأول: اســـتثمار الاعـــتقال والتحقيق في بناء حوار مع رجال الشرطة، ورغم صعوبة هذا الأمر إلا أنه مهم جداً، وليس بالضرورة أن يكـــون هذا الحوار عن طريق الكلام والإقناع - إذ قد يتعذر بناء حـــوار منطقـــي مـــع رجال الشرطة خلال التحقيق - ولكن يمكن الاستعاضة عن ذلك بأن يعطى جميع المشاركين في المظاهرة مثلاً بعض الأوراق القليلة الموثقة التي تحوي أرقاماً ومعلومات موثقة حول موضوع المظاهـــرة (الفقـــر - البطالة - الفساد -...)، وما على المحتجز سوى إعطاء هذه الأوراق للمحققين كمبرر على مشاركته في المظاهرة.

ومـــع تكـــرار المحاولـــة يبدأ الحوار النفسي داخل ضمير رجل الـــشرطة (موظف النظام/عبد المأمور) حول شرعية النظام وشرعية قمع الشعب من أجله.

والـــثاني: عـــبر الملاحقـــة القانونـــية للمسؤولين عن حالات الاعتقالات والتعذيب والقتل عبر اللجوء إلى القضاء المدني، والملاحقة الإعلامية عبرنشر صورهم وأسمائهم لتصبح وصمة عار وفضيحة لهم أمام أهليهم وأقربائهم وجيرانهم، والملاحقة المهنية عبر المطالبة بعزلهم عن مواقعهم ومناصبهم.

2. استثمار كل حالة اعتقال وتضخيمها إعلامياً وتحويل المعتقل إلى رمز، وذلك عبر توثيق حالات الاعتقال والقمع والضرب - بالصور إن أمكن - وبثها عبر الفضائيات ووسائل الاتصال المختلفة (الانترنت والهاتف الخلوي) ومناقشتها على صفحات الجرائد والمجلات وتحويلها إلى قضية محلية ودولية، ورفض ممارسة العملية السياسية (انتخابات - مفاوضات -...)، وحشد الأعداد الغفيرة بسرعة وكفاءة عالية أمام الأماكن التي يحتجز وينقل إليها النشطاء والتهديد بالتصعيد حتى يتم الإفراج عن المعتقل.
3. حشد مصادر القوة الداخلية: عبر الاتصال باللجان الحقوقية والديمقراطية ولجان الحريات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة ومحاولة جعلها أداة ضغط على النظام.
4. حشد مصادر القوة الخارجية: عبر الاتصال بالهيئات الدولية والحقوقية العالمية لممارسة الضغط على النظام للإفراج عن المعتقلين وللتوقف عن منع الجماهير من الإعلان عن مطالبها سلمياً.
5. تضامن نشطاء الحركة التغييرية: والتضامن في حقيقته حالة عقلية وروحية توحد بين الأفراد في كفاحهم الطويل أكثر منه تدريب خاص يكلف الأفراد باتباعه وتطبيقه. والتضامن لا يعني خياراً واحداً يطبقه جميع الأفراد في جميع المواقف، بل هو قوة داخلية موجودة لدى كل فرد ومختزنة داخل كل مجموعة، إنه التزام نابع من كل فرد تجاه الآخرين وتجاه القضية المشتركة، إنه تفضيل الصالح العام على المصالح الشخصية. إنه رفض للأنانية التي تعود

عليها الأفراد والتنظيمات والجماعات. إنه تكريس كل فرد لوقته وجهده لدعم الوطن وللمضي في العمل على رفعته في كل الأوقات، وفي جميع المواقف. ولا يستطيع كائناً من كان – محاكمات أوسجون أوقوى خارجية أو نظام معتدي – أن يكسر هذا التضامن.

أنواع التضامن

– **التضامن المعنوي**: تجمع المتظاهرين حول مقار الشرطة وأقسام البوليس ومراكز الاعتقال، وتجمع النساء حول أماكن احتجاز أبنائهن وأزواجهن وآبائهن، ووضع الزهور على أسوار وأبواب السجون، رفض المعتقلين لقرارات الإفراج في حال استمرار اعتقال بعض زملائهم.

– **التضامن المالي**: مساعدة عائلات المحتجزين، وتوفير الكفالات المالية لخروج المسجونين.

6. تقويض شرعية القمع: عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون.

استراتيجية عدم التعاون

لقد اكتسبت الاعتقالات والمداهمات والتعذيب شرعية – لا مكتوبة – لكثرة وطول استخدامها. وبالتالي فغالباً ما يدرب النشطاء على كيفية التعامل مع القمع لا على كيفية تقويضه ورفضه عبر استخدام استراتيجية عدم التعاون وأساليب اللاعنف.

فبعض النشطاء يرفضون التعاون – جزئياً أو كلياً –مع إجراءات التحقيق والمحاكمة، فيرفضون تقديم الالتماسات أو توكيل أو القبول بالمحامين، أو الوقوف في المحكمة أو التحدث إلى القاضي

كـــونه يمـــثل رمز سلطة المحكمة، أو اتخاذ موقف أو سؤال الشاهد، ولكنه قد يلقى خطبة على الجموع الذين تجمعوا في مقر المحاكمة، أو ينام أو يجلس على الأرض إذا أُريد حمله، أو يحاول المغادرة إذا لم يمنع بالقوة.

وقـــد تكـــون العقوبات المترتبة على عدم التعاون صارمة، لأن بعض المحققين أو القضاة يأخذون هذه التصرفات على محمل الإهانة الشخـــصية أو الإهانة لقدسية التحقيق أو المحاكمة، ولكن من ناحية أخـــرى يغفـــل بعض المحققون أو القضاة هذه السلوكيات بل وربما يحاولون الاتصال بالمتظاهرين.

كما يمكن تطبيق عدم التعاون الجسدي خلال عمليات ووقت الاحتجاز، وهذا يتضمن رفض المشي والأكل والنظافة الشخصية أو نظافة المكان المحيط، وهذا قد يؤدي إلى محاولة مسؤولي السجن إجبار النشط السياسي السجين على الأكل ووضع حفاظات له.

ويعد الصيام من أحد أشكال اللاتعاون، ويقصد به الامتناع عن الطعام والسوائل ما عدا الماء، وبينما يمثل الامتناع عن الغذاء إزعاجاً لسلطات السجن كونه يمثل خطورة على حياة السجين، فإن الامتناع عن الغذاء والسوائل كلية وحتى الماء أشد خطورة، حيث أن السجين لن يعيش لفترة تتجاوز الخمس أو الست أيام، ولذلك فإن السلطات تـــراقب الأشخاص الذين يهددون ويلوحون باستخدام "صيام الماء" فيدخلونهم المستشفيات حرصاً على حياتهم، ولكن يجب على المتظاهر ألا يعتمد على هذه الوسيلة لجذب الانتباه، بل يجب أن يكون قادراً علـــى وقف الصيام أو أن يكون عازماً على الاستمرار حتى الموت، كما فعل مقاتلو الحرية في أيرلندا في عام 1981م.

وعـــدم الـــتعاون قـــد يأخذ أشكالاً أخرى وينتج عن أسباب أخـــرى، فـــرفض الفـــرد أن يعطي اسمه لا شك أنه ينبع من رغبته وتـــصميمه على المقاومة وعلى التغلب على النظام الذي يلفق محاضر إجـــرامية للـــناس، ويـــصنفهم ويتجسس عليهم، ويعاقب المنظمين والمخـــالفين للقانـــون بعنف وصرامة أشد. وهذا ينقل رسالة للنظام مفادها أنه لا أحد منا سيتعاون مع النظام وأننا سنعيد هذا الأمر المرة بعد المرة.

ومـــع ذلك فكثير من نشطاء الحركة التغييرية اللاعنيفة يعملون بانفـــتاح وثقة، ولا يحاولون إخفاء شخصياتهم وهو ما يميز ويقوي أنـــشطة اللاعنف، ويطبقون ما يطلق عليه "التعاون المقيد" فيرفضون الـــبوح بعناوينهم أو رفض إعطاء الوعود بالعودة للمحكمة، وهذا يزيد العبء على المحاكم لضرورة التعامل السريع مع المتظاهرين، كما أنه يعزز التضامن بين النشطاء ويزيد من وحدتهم.

سابعاً: القواعد الذهبية لتعزيز مساحة الحرية وإطلاق الإبداع في حركة المقاومة

1. **استراتيجية حركة لا استراتيجة فرد:** فحتى يتحول عدم التعاون إلى ظاهرة عامة وهو ما يمكن أن يحدث تأثيراً حقيقياً، فإنه ينبغي أن يتخذ القرار بشأن استراتيجية التعاون الكامل أو المقيد أو عدم الـــتعاون بـــشكل جماعي لا فردي، بمعنى أن يكون استراتيجية حـــركة لا اســـتراتيجة فرد، حيث أن اتخاذ قرار اللاتعاون مثلاً بـــشكل فردي قد يضر بصاحبه أشد الضرر رغم عدم احتياج الحركة إليه في المرحلة الراهنة كما أنه لن يحدث التأثير المطلوب،

كما أن اتخاذ قرار اللاتعاون بشكل جماعي يمثل إزعاجاً ومشكلة للنظام، ويعطي مصداقية وشرعية لممارسيه.

2. **الحفاظ على ثوابت الحوار في اللاعنف:** ففي حالة اختيار استراتيجية التعاون لابد أن تكون المعلومات التي تعطى للمحققين صحيحة، فلابد من الابتعاد عن الكذب أو أنصاف الحقائق، فاستراتيجية اللاعنف تستمد قوتها من المواجهة والمجابهة المفتوحة واللاتعاون، وليس من خلال المراوغة أو التهرب والتحايل، فلابد من الحفاظ على ثوابت أسلوب اللاعنف المتمثلة في الأمانة والصراحة المباشرة في طرح القضية خلال تعامل نشطاء الحركة مع الموظفين المسؤولين عن تطبيق القانون.

وتكمن المشكلة هنا في أنه في أغلب الأحيان يكون الكذب أسهل من إعلان رفض التعاون، فعلى سبيل المثال إذا ما سئل المعتقل عن شخص ما فإن الاسهل أن ينفي معرفته به من أن يواجه المحققين بأنه يرفض الإجابة والتعاون.

3. **تأمين قنوات الاتصال:** لابد من العمل على إيجاد قنوات اتصال بين المعتقلين وبين نشطاء الحركة التغييرية في الخارج قبل البدء في الأنشطة، وهذا الاتصال قد يكون من خلال المحامين أو رجال الشرطة المتعاطفين أو المعتقلين الجدد أو المفرج عنهم، وهذ التفكير في كيفية الاتصال في حالة حدوث الاعتقالات ينبغي أن يشمل حتى مجموعات العمل الصغيرة، فعلى كل مجموعة أن تفكر في تأمين قنوات اتصالها.

4. **المتابعة والتوثيق وتوفير الاستشارات:** في الأنشطة الكبيرة لابد أن توفر الحركة التغييرية الاستشارة القانونية في موقع الحدث

(مكـــان تنفـــيذ النشاط) ليخبروا النشطاء بما عليهم فعله خلال اعتقالهم. كما يجب أن تكون هناك مجموعة مختصة بمراقبة ساحة الفعـــل، فـــتوثق أسمـــاء وصور المعتقلين والقائمين على عملية الاعتقال، وتوثق أي ارتفاع لمستوى العنف أو القمع.

ولا يحـــتاج النـــشطاء إلى محامون إذا اختاروا استراتيجية عدم التعاون، ولكن إمدادهم بالاستشارة القانونية أو وجود محام متعاطف معهـــم أو مـــؤيد لموقفهم قد يساعدهم على التعامل بحنكة أكثر مع النظام القانوني القائم.

5. **بـــناء قدرة الحركات التغييرية على مواجهة القمع**: من خلال الـــتدريب، حـــيث تتدرب مجموعات على مناقشة هذه المسائل القانونـــية، وبخاصـــةً الجزئية المتعلقة بعدم التعاون والموقف من المحاكمـــات. وعلى قائد المجموعة أن يضع مجموعة من المواقف الافتراضية وأن يرى كيف سيتجاوب أفراد المجموعة مع مثل هذه المواقـــف. وتجـــدر هنا الإشارة إلى أن حركات اللاعنف تصدر لنـــشطائها دليل (manual) يدرس للنشطاء ويتدربوه عليه؛ ماذا يقولون وكيف يتصرفون ويمكن الرجوع إلى دليل (Act Up).
6. **المحافظـــة علـــى القـــيادة والأطراف**: لابد أن ترسم الحركات التغـــييرية خطـــة للـــرد على النظام منطلقةً من كون كل أفراد المقاومـــة – سواءً كانوا في القيادة أو في الأطراف – على نفس الدرجـــة من الأهمية الاستراتيجية، فحين يكون رد فعل الحركة مقصوراً عند استهداف أفراد من القيادة يقوم النظام باستهداف الأطراف، فإذا لم تستجب الحركة تتمادى الحكومة في اضطهاد الأطـــراف، وشـــيئاً فشيئاً تنصرف الأطراف عن الحركة فتجد

القيادة نفسها وحيدة في مواجهة النظام، الذي سرعان مايستفرد بها ويفنيها بعد أن فرطت في مصدر قوتها.

7. **تقـــويض شرعية النظام**: من خلال سعي الأطراف المقاوِمة إلى تفنـــيد الغطاء الأخلاقي والقانوني اللذان استخدمهما النظام أمام المجتمع الدولي والمحلي والنيل من هيبته وتبيان عدم شرعيته.
8. **وضـــوح الـــرؤية لدى المجموعات المختلفة**: من خلال إمداد النـــشطاء باستراتيجية توضح الخطوط والمبادئ الكبرى (تتناول أســـس ومـــبادئ أسلوب اللاعنف وتوفر رؤية شاملة لخارطة الصراع وتحدد الاتجاهات الداعمة لنشاطات المقاومة).
9. **الرمزية**: فحملة مواجهة القمع واستراتيجية اللاتعاون وتقويض شـــرعية النظام في بدايتها لابد أن تركز على تبيين إمكانية الفعل وخلـــق حوار مع الجماهير لإقناعها بالمشاركة في الصراع لصالح المجـــتمع، لا ســـيما إن أحسنت المقاومة استخدام الرمزية لتبيين فاعلية العمل إن شارك فيه المجتمع.

الخلاصات

- إن المقاومة تعني العصيان أو الرفض.
- إن الاحتجاج قد يكون مجرد تعبير عن موقف إزاء قانون ما، أو موقف ما، ثم العودة والإذعان. أما المقاومة فتسعى إلى إلغاء القرار، أو تحدي القانون. إنها ترفض الإذعان أو الطاعة.
- العصيان المدني نشاط شعبي متحضر، يعتمد أساساً على مبدأ اللاعنف.
- العصيان المدني تقوم أنشطته على التحدي، فلا تقيده قوانين النظام، أوقراراته، وإن كان أحياناً يتم عبر القوانين. ومن ثم لا يستطيع النظام أن يفرض على حركة العصيان نشاطاً بعينه أو يمنعها من نشاط، أو يفرض عليها ميداناً بغينه.
- إن المقاومة يجب أن توجه خطابها إلى المواطنين المذعنين.
- أكبر الداعمين للأنظمة الجائرة والذين يمثلون أخطر وأكبر المعوقات أمام حركة المقاومة هم أولئك الذين يعترضون ثم يذعنون ويقدمون للنظم الولاء والدعم في النهاية.
- "لو أن الرجل يشعر أنه ليس من الرجولة أن يطيع القوانين الجائرة فلن يستطيع أي طاغية أن يستعبده". غاندي
- إن العقوبات أو بالأحرى التغلب على الخوف من العقوبة هو أساس في مبدأ العصيان المدني.
- وسائل العصيان لا تعرف السرية.

- إن العـــصيان هـــو حوار مع الخصم من خلال أنشطة المقاومة والمحاكمات... كما أنه حوار مع المواطنين.
- قـــد يكون من الضروري أحياناً أن يأخذ العصيان المدني صورة العمل المباشر الرمزي.
- العصيان المدني لا يكون مؤثراً أو فعالاً إلا بمبررات أخلاقيةً نابعة من عدالة القضية التي قام من أجلها.
- إنـــنا عادةً ما نسمح للنظام بالتحكم في تصرفاتنا وسلوكنا من خلال مانتصوره ممكناً أو غير ممكن، غير أنه من خلال أنشطتنا فقط تتأكد لدينا إمكانية الفعل أو استحالته.
- لكـــي تصح تصوراتنا عن الإمكانية الحقيقية لفعل ما فلابد من إخـــضاعه للتجربة وهي وحدها الحكم الذي يقرر الإمكانية من عـــدمها. ولا ينبغي أن نكتفي بانهزام الإرادة والتسليم لإيهامات الخـــصم بأن كل شيء في قبضته وأننا يجب ألا نتخطى الخطوط الحمراء التي وضعها.
- قـــد يتحدث الكثيرون عن أخلاقيات العصيان المدني، لكن هذه الأخلاقـــيات تختلف بحسب النظرة إلى ما هو ممكن وغير ممكن، ومـــا هو صواب أو خطأ، والمطلوب هو إخضاع هذه الأعراف والقـــناعات للتجربة بالحوار مع الخصم ومن ثم كل المجتمع عن طريق أنشطة واستراتيجيات العصيان المدني.
- "عـــندما ينـــتظم ألف شخص في شكل مجموعات عمل متنوعة فـــإن قدرتهم على تصعيد المقاومة تكون أكبر من أن يتولى قيادة هـــذا العـــدد الكبير مجموعة صغيرة سرعان ما تنفد طاقتها" بير هرينجرين

- تتألف مجموعة العمل عادة من ثلاثة إلى خمسة عشر فرداً تجمعهم اهتمامات وأهداف مشتركة، وعادة ما يكون سر قوتها وتأثيرها نابع من قلة عددها إذ يمكنها القيام بعمل نوعي مبني على المشاركة الإيجابية لكل أفراد المجموعة.
- إن أسلوب مجموعات العمل يمنع تكدس حركات العصيان بالكم البشري غير الفعال. كما أن حركة صغيرة الحجم من حركات العصيان إذا اعتمدت فكرة مجموعات العمل فإنها تضاعف من قوتها.
- إننا حين ندعو للعصيان فإننا نحارب الديكتاتوريات. وعليه فإن من واجب حركات العصيان أن تطلق حرية التفكير والإبداع وتَحَمُّل مسؤولية النشاط، طالما أن العمل لم يتجاوز استراتيجية "اللاعنف".
- إن مجموعة العمل تدريب على: إقامة نموذج مصغر لمجتمع مقاوم حر في وحدة صغيرة، التخطيط للنشاط، تطوير أساليب اللاعنف بما يناسب تقاليد المجتمع.
- إن هدف النشاط هو خلق الحوار بيننا وبين أنفسنا، بيننا وبين الجماهير، بيننا وبين النظام. فالنشاط ليس هدفاً لذاته.
- "نحن نحاول نزع سلاح مخاوفنا الخاصة. كما أننا نحاول أيضاً نزع سلاح جدران الحماية الأخرى التي بنيناها لنتجنب المخاطر الشخصية. كما أننا نحاول نزع سلاح العنف والقمع والاضطهاد الذي قد يوجد داخل المجموعة نفسها. وفي النهاية فنحن نحاول - من خلال أنشطتنا - نزع سلاح العنف والخوف والشك من المجتمع." بير هيرنجرين

- تنقسم أسلحة المقاومة اللاعنيفة إلى ثلاث مجموعات: الاحتجاج والإقناع، اللاتعاون، التدخل.
- "إن إدارة حملات المقاومة ينبغي أن ينتج عن رؤية كلية لخارطة الصراع." أكاديمية التغيير
- تتكون حملات المقاومة من سلسلة من الأنشطة الهادفة إلى تحريك المجتمع نحو الإيجابية ونبذ السلبية وتوجيه الرأي العام لاتخاذ موقف بناء إزاء قضية، والضغط على النظام ليتخذ موقفاً استجابة للإرادة الشعبية.
- "لابد من إقناع النظام والمجتمع بأن تكلفة القمع أعلى بكثير من المكاسب الناتجة عن استخدامه" أكاديمية التغيير

الخاتمة

نحو الطموح والحرية

كانت هذه محاولة لتلسيط الضوء على بعض القضايا الرئيسة المتعلقة بموضوع العصيان، وحرصنا أن يكون الكتاب دليلاً مختصراً لفتح شهية قرائنا كي يسبروا أغوار هذا الموضوع، وينقبوا عن الدراسات المكملة التفصيلية، حتى يمكن استيعاب فلسفة واستراتيجيات العصيان.

ولم نتحدث في الكتاب عن العصيان المدني على اعتباره أعلى تجليات أساليب اللاتعاون[1]، بل تحدثنا عن العصيان كحالة عامة، فالعصيان جوهر حرب اللاعنف، ولب ثقافة المقاومة التي تسعى للحرية، وكلما تمكنت الحركات التي تقود التحولات من تعزيز هذه الثقافة؛ كلما كان ذلك مبشراً بولادة مجتمعات حرة تملك مصيرها.

ويتم تعزيز الثقافة بنشر مثل هذه المفاهيم التي حوتها الصفحات السابقة، عبر الكتابات والقصص والروايات والأفلام.. الخ، وعبر الممارسات العملية التي يمارس فيها الأفراد والجماعات والمؤسسات العصيان، ويشجع بها الإيجابيون شرائح المجتمع للنهوض من أجل تحقيق الطموحات والأحلام، فلا مكان للعقبات مهما عظمت في

---

(1) راجع المجموعات الثلاث لوسائل اللاعنف الحلقة الخامسة ص 43.

منع المجتمع من التقدم. ومهما عظمت هذه العقبات ووصلت إلى حد الديكتاتورية؛ فثمة وسائل لإزالتها، لا تعتمد العنف منهجاً، كما أنها لا تستسلم للوضع القائم، بل تعلن التمرد، الحضاري عبر العصيان على كل ديكتاتور، سواء كان في العمل أو الحزب أو الحركة، أو كان رئيس الدولة. إن العصيان يعني استرداد الإنسان حرية الاختيار، إنه يعني اختيار الحرية.

ثبت المراجع

- أحمـــد عـــبد الحكيم، د. هشام مرسي، م. وائل عادل، حرب اللاعنف ... الخيار الثالث، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2007.
- دليل إرشادي تدريـــي "Act Up Civil Disobedience Training"
- Per Herngren, PATH OF RESISTANCE.. THE PRACTICE OF CIVIL DISOBEDIENCE, Revised edition 2004.
- Gene Sharp, From Dictatorship to Democracy.. A Conceptual Framework For Liberation, The Albert Einstein Institution, Electronic version, www.aeinstein.org
- The Teaching Company, Power over People Lectures by Dennis G. Dalton